
روح القرآن الكريم
تفسير
جُزْءَ عَمَّ
بقلم
عفيف عبد الفتاح طبارة
توزيع
دار العلم للملايين

رُوحُ القرآنِ الكريم



الجزءُ الثلاثون

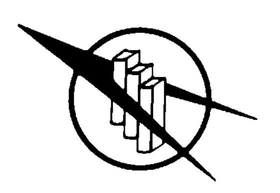
بقلم

عفيف عبد الفتاح طبّاره

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس، بناية مكو، الطابق الثاني
هاتف: ٣٠٦٦٦٦ - ٧٠١٦٥٥ - ٧٠١٦٥٦ - ٠١/٧٠٢١٣٣
فاكس: ٧٠١٦٥٧ (٠١)
ص.ب ١٠٨٥ بيروت - لبنان
www.malayin.com



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تحذير وإنذار

كل من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشترك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك.

إن الوكيل الحصري المعتمد لتوزيع وبيع هذا الكتاب في جميع أقطار العالم:

دار العلم للملايين

الطبعة الحادية عشرة

أيلول/سبتمبر ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لفضيلة قاضي الشرع الشريف

الشيخ حسين يوسف غزال

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وبعد :

إن من أفضل العبادات الانكباب على كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ فيستزيد المؤمن من تلاوته ، ويتدبر آياته ، ويتعمق في معانيه وأهدافه ، ويتغلغل في مراميه وأبعاده ، ولا غرو فالقرآن هو المعجزة الخالدة التي تبقى على الدهر دستور الحياة ، ومصدر التشريع ، ومنارة الهداية ، وضياء الطريق في دنيانا وآخرتنا ، ودليلنا في الحالكات ، ورائدنا في الملمات ، منه نستمد زادنا للمعاد ، وعدتنا ليوم التناد .

وقد صدق رسول الله محمد ﷺ في وصفه للقرآن : ﴿ فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ﴾[1] .

---

(١) رواه الترمذي .

ولقد درجت الناشئة والكبار على حفظ الجزء الأخير من القرآن الكريم (جزء عم) ويكاد لا يخلو بيت من البيوت الإسلامية إلاّ وكان لهذا الجزء نصيب من العناية بحفظه وترديده ، فهم يرددون سور هذا الجزء وآياته الكريمة في صلواتهم ، وكثير من مناسباتهم ، غير أنهم كثيراً ما يتلون آياته دون نفوذ إلى معانيها ، وبلوغ مراميها ، والوقوف على فحواها ، وأبعاد مداها .

من هنا إنبرى المؤلف الأستاذ عفيف طبارة يدلي بدلوه مسهلاً صعبه ، وميسراً فهمه جاعلاً من هذا الجزء ميداناً لمؤلفه القيم وتفسيره الرائع الجديد .

والمؤلف الذي عودنا في مؤلفاته السابقة أن يتحف المكتبة الإسلامية والعربية ويقدم للقارىء العادي التعاليم الإسلامية بأسلوبه المبسّط السهل المأخذ ، وكان فيها غنياً في عطائه ، غزيراً في مادته ، موفقاً في اختيار موضوعاته ، حتى استطاعت مؤلفاته برشاقة أسلوبها ، وبراعة تبويبها ، وسهولة مأخذها أن تدخل كل بيت ويحرص على اقتنائها كل مسلم .

وها هو المؤلف اليوم يتحفنا بهذا الجديد الرائع (تفسير جزء عم) ليضيف إبداعاً إلى إبداع ، وجوهرة في قلادة الشريعة لتكون نوراً على نور .

ولكم أمضى المؤلف من جهد ، وصرف من عناية ، مطوفاً في شتى المراجع ، باحثاً منقباً ، يلملم الخواطر ، يقرّب فيما بينها ، يغربل منها البعيد ، ويستبقي المفيد حريصاً على صيد الخواطر التي تتناغم مع روح الآيات ، مستفيضاً في المواضع التي يستدعيها المقام ، كل ذلك ليقدم للقارىء منهلاً سائغاً ، يرتشفه دون عناء ، تتوارى في ظله جهود المؤلف وهي تطالعه هنا وهناك .

وثقتنا الأكيدة بأن هذا المجهود الضخم سوف يلاقي لدى القارىء ما عوّده عليه المؤلف في ثمراته السابقة من ارتياح وتقدير يكفل له النجاح الذي ينشده ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ

شرح المفردات

عمّ : مركبة من كلمتين هما : عن ، وما الاستفهامية والمعنى : عن أي شيء ؟

النبأ : خبر ذو فائدة عظيمة والمراد به هنا البعث بعد الموت .

مِهَاداً : المكان الممهّد المسوى للسكن .

أوتاداً : جمع وتد وهي القطع الخشبية التي تدق حول الخيمة لتشد إليها .

أزواجاً : ذكوراً وإناثاً .

نومكم سُبَاتاً : راحة ودعة تهدأون به وتسكنون .

النهار مَعَاشاً : أي وقتاً للسعي إلى العيش وطلب الرزق .

سَبْعاً شداداً : سبع سماوات قوية الخلق محكمة .

سِرَاجاً : السراج هو المصباح والمراد هنا الشمس .

وهّاجاً : مضيئاً وقاداً .

المعصِرات : السحب المحملة بالأمطار .

مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

شرح المفردات

ماء ثجاجاً : ماء مُنصباً بشدة .

حبّاً : الحبوب التي يقتات بها .

يوم الفصل : يوم القيامة .

ميقاتاً : موعداً للحساب .

الصُّور : البوق .

أفواجاً : جماعات .

وفُتحت السماءُ فكانت أبواباً : انشقت وتصدعت وصارت شقوقها كالأبواب .

وسُيِّرت الجبال فكانت سراباً : قلعت من أماكنها وتناثرت أجزاؤ ها وصارت كالسراب .

جهنم كانت مِرْصَاداً : أي أن جهنم ترقب المستحقين للعذاب ليكتووا بنارها .

للطاغين : المجاوزين الحد في العصيان والكفر .

مآبا : مرجعاً ومنزلاً .

لابثين : مقيمين .

أحقاباً : أزماناً طويلة متابعة .

بَرْداً : برد الشراب ، وقيل : نوماً .

حميماً : ماءً حاراً .

غَسَّاقاً : ما يسيل من أجساد أهل النار من الصديد والقيح .

جَزَاءً وِفاقاً : جزاء موافقاً لأعمالهم .

لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ
وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ

شرح المفردات

لا يرجون حساباً : لا يتوقعون محاسبة على أعمالهم .

وكذَّبوا بآياتنا كِذّاباً : كذبوا بالقرآن تكذيباً كبيراً .

أحصيناه كتاباً : جمعناه في كتاب .

مفازاً : فوزاً بالنعيم .

أعناباً : كروم العنب .

كواعب : جمع كاعب وهي التي برز ثدياها وتمت أنوثتها .

أتراباً : متقاربات في السن .

دِهاقاً : ممتلئة ، صافية .

لغواً : اللغو ما لا يعتد به من الكلام ، أو الكلام القبيح .

ولا كِذُاباً : أي لا يكذب بعضهم بعضاً .

عطاءً حساباً : عطاء من الله حساباً لما عملوا .

لا يملكون منه خطاباً : أي لا يملكون مخاطبة الله لتخفيف العذاب أو زيادة الثواب .

الروح : هو الملك جبريل عليه السلام .

ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

شرح المفردات

اتخذ إلى ربه مآباً : اتخذ إلى ربه مرجعاً بالعمل الصالح .

أنذرناكم : الإنذار هو الإخبار الذي فيه تخويف .

ما قدَّمت يداه : ما صنعت يداه في الحياة الدنيا .

ايضاح و دروس

رُوي أنه لما بُعِثَ النبي ﷺ بالرسالة الإلٰهية جعل المشركون يتساءلون فيما بينهم فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون فيما بُعِثَ به النبي ﷺ من الوحي المشتمل على خبر البعث يوم القيامة الذي يحاسب فيه الإنسان على ما فعله في الحياة الدنيا، فأنزل الله هذه السورة وافتتحها بقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون؟ وهم ما كانوا يتساءلون عن حقيقة البعث، بل عن وقوعه، وهل سيقع أم لا؟

هذا الاستفهام الصادر من الله ليس استفهاماً حقيقياً لأن الاستفهام الحقيقي ينبيء عن جهل السائل بالمسؤول عنه وهو محال على الله، بل المقصود من الاستفهام هنا: التفخيم لأمره، كأن المعنى: ما أعظم هذا الشيء الذي يتساءلون عنه، بدليل ما ذكره القرآن بعد ذلك: ﴿عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ﴾ والنبأ هو الخبر ذو الفائدة، والنبأ العظيم المراد به هنا هو البعث بعد الموت ﴿الَّذي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي مختلفون في البعث بين مصدق به ومكذب له .

ولا شك أن غايات التدين كلها إنما تؤول إلى معرفة سرّ ذلك اليوم حيث يحاسب فيه كل إنسان بما عمل إن خيراً فجزاؤه خير وإن شراً فجزاؤه شر.

ثم ينتقل القرآن إلى الزجر والوعيد على إنكارهم للبعث:

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

كلا: كلمة ردع وزجر، أي ليس الأمر كما يزعمون من أنه لا بعث بعد الممات، فسيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً، وكرّر القرآن ذلك للمبالغة في التهويل والتأكيد على قيام البعث.

ثم تجول الآيات القرآنية بنا جولة في أنفسنا ومعيشتنا وفي الكون الذي حولنا لتلفتنا إلى مظاهر قدرة الله العظيمة التي لا تعجز عن إعادة الإنسان حياً يوم البعث:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً﴾ والمهاد هو الفراش، وقد جعل الله الأرض موطئاً للناس والحيوانات يقيمون عليها فهي فراش لهم، والمراد أنها ممهدة ومخلوقة لتلائم الحياة عليها.

ثم يصف الله الجبال بالأوتاد: ﴿وَالجبالَ أوتَاداً﴾ وهذا تشبيه دقيق أقرّ به علم الجيولوجيا وهذا ما سنوضحه في التفسير العلمي.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي من ذكر وأنثى[1] كي يتم

---

(١) استدل أحد العلماء الكونيين بذلك على وجود الله، فقال (كريس موريسون) في كتابه: (الإنسان لا يقوم وحده) «إن الحياة ترغم على التناسل لكي يبقى النوع، وهو دافع بلغ من القوة أن كل مخلوق يبذل أقصى تضحية في سبيل هذا الغرض... فمن أين تنشأ هذه الدوافع القاهرة؟ ولماذا بعد أن نشأت تستمر ملايين السنين؟ إنه قانون الطبيعة الذي يأتي من إرادة الخالق».

التناسل وبقاء النوع الإنساني، وعمارة الكون، وهذا من الدلائل على وجود قدرة إلَهية مدبّرة حكيمة.

ويقول سبحانه بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ أي راحة ودعة، فالنوم من الآيات الدالة على قدرة الخالق، وسنوضح ذلك في التفسير العلمي.

ويصف اللَّه سبحانه الليل فيقول: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ أصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الإنسان ويتغطى به، فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم لهذا سمي الليل لباساً على وجه المجاز. وأيضاً فإن اللباس يدفع عن الإنسان أذى الحرّ والبرد، فكذلك الليل الذي شبه باللباس يدفع عن الإنسان أذى التعب الجسماني بواسطة النوم الذي يريح الإنسان ويعوض به قواه.

ويصف اللَّه النهار بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ أي جعل النهار وقتاً للعيش والسعي في طلب الرزق، فهذا التقلب المستمر في حياة الإنسان من ليل يسكن فيه ويرتاح إلى نهار مشحون بالعمل والنشاط، والبحث فيه عن موارد الرزق هو آية من آيات القدرة الإلَهية التي خلقت هذا الكون على هذه السنن المنتظمة التي لا يعتريها خلل.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ أي بنينا فوقكم أيها الناس سبع سماوات، وشِداداً جمع شديدة يعني قوية محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الزمان وحقيقتها في علم اللَّه وحده.

وبعد ذلك يصف اللَّه سبحانه الشمس بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾ فاللَّه سبحانه يشبّه الشمس بالسراج الوهّاج، أي المصباح المضيء المتقد بلهب وهو الذي يضاء بالزيت أو الكحول أو الكاز. يقال توهجت النار إذا

اتقدت. والسراج له ضوء ذاتي وقد بيّن العلم أن الشمس كتلة غازية ملتهبة وأنها تستمد طاقتها من تفاعلات وانفجارات نووية في داخلها فاكتشف العلم حقيقة قرآنية من حيث أن الشمس مكونة من لهب، وأن هذا اللهب يستمد طاقته من مركزها الداخلي.

ويصف الله سبحانه السحب بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾ أي وأنزلنا من السحب ماءً منصباً كثيراً والتعبير بالمعصرات عن السحب يُفهم منه أن مؤثراً يعصرها فينزل منها الماء، وهذا المؤثر هو الرياح والتفريغ الكهربائي الذي يساعد على إنزال المطر من السحب.

ثم يبين الله بكلمات قليلة جميع ما تنبته الأرض فيقول: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً﴾ أي ليخرج الله بهذا الماء أنواع الحبوب والنبات ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾ وبساتين كثيرة الأشجار والأغصان ملتفة بعضها على بعض لتقاربها[1].

وبعد أن عدّد القرآن بعض مظاهر قدرة الله انتقل إلى تصوير بعض مظاهر يوم القيامة: ﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾ فيوم الفصل هو يوم القيامة إنه موقت بأجل محدد، وسمي بيوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه

---

(١) هذه المظاهر لفتت نظر أحد العلماء الكونيين. فاستدل بها وبغيرها على وجود الله، يقول الدكتور فرانك ألن عالم الطبيعة البيولوجية:

«أما الشمس المستعرة، والنجوم المتوهجة، والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بدءاً من لحظة معينة، فهو إذن حدث من الأحداث، ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية. عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بُدّ أن يكون هذا الكون من صُنع يديه. إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صوراً عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية». (عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم).

فيثيب الطائعين على أعمالهم الحسنة ويعاقب المسيئين على أعمالهم السيئة.

ويوم القيامة يبتدىء بهذه المظاهر: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ والصور هو على هيئة قرن يُنفخ فيه فيجعل الله ذلك سبباً لعودة الأرواح إلى أجسامها وهذا ما يسمى بالنفخة الثانية فيأتي الناس جماعات جماعات للحساب والجزاء وهناك نفخة أولى تسبقها يموت على إثرها الخلائق عامة في السماوات والأرض، وقد أوضح الله ذلك بقوله:

﴿وَنُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السمٰوات ومن في الأرض إلاّ مَنْ شاء اللّٰه ثم نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قِيَامٌ يَنْظُرون﴾ (الزمر: ٦٨).

ويُتابع القرآن وصف مظاهر القيامة: ﴿وفُتِحَتِ السَّماءُ فَكَانَتْ أبْوَاباً﴾ أي تشققت السماء من كل جانب فترى هذه الشقوق كأنها الأبواب في الجدران، ولقد بيّن القرآن بأن السماء في الآخرة يتغير شكلها المعهود؛ ﴿يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غَيْرَ الأرْضِ والسمٰوات وَبَرزوا لِلّٰه الوَاحِدِ القَهَّار﴾ (إبراهيم: ٤٨).

ثم يقول سبحانه: ﴿وسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ فالجبالُ تُقتلع وتفتّت وتُثار في الهواء حتى يخيل للناظر أنها شيء وليست بشيء فهي كالسراب الذي يظن من يراه من بعيد أنه ماء وهو ليس بماء.

ثم يبين اللّٰه مصير الطغاة في ذلك اليوم:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾ فجهنم هي دار العذاب في الآخرة فهي طريق وممر للطغاة، يقال فلاناً يرصد فلاناً أي يقعد له في طريقه، ومرصاداً تأتي بمعنى الترقب والإعداد فجهنم ترقبهم لدخولها أو هي معدة لهم ﴿لِلطَّاغِينَ مآباً﴾ للمجرمين والكافرين منزلاً ومأوى ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾

أحقاباً: جمع حقب وهي مدة من الزمن يفهم منها الطول أي أنهم يمكثون في عذاب جهنم إلى ما لا نهاية لـه ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً﴾ أي لا يذوقون في جهنم ما يتبرّد به ظاهر أجسامهم، ولا شراباً يخفف عطشهم فيها ﴿إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ إلاّ ماءً حاراً بالغ الغاية في الحرارة، وما يسيل من أجساد أهل النار من صديد وقيح ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ أي هذا العقاب هو جزاء وافق أعمالهم السيئة. ﴿إنّهم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ إنهم كانوا لا يتوقعون حساب الله لهم على أعمالهم ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾ وكذبوا بآيات القرآن تكذيباً مفرطاً ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾ أي أن كل أعمالهم أحصاها اللّه كتابةً[1] ليجازوا عليها. ثم يُقال لهؤلاء الطغاة وهم يُعذبون في النار إذلالاً وتوبيخاً ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلاَّ عَذَاباً﴾ أي فذوقوا أيها العصاة عذاب ربكم فلن يكون لكم منه إلاّ مزيد من العذاب، ومن الزيادة في عذابهم أنها كلما نضجت جلودهم بدّلهم جلوداً غيرها.

ثم ينتقل القرآن بعد ذلك إلى ذِكْرِ ما يفوز به المتقون من نعيم في الآخرة:

﴿إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً. حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً. وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً. وَكَأْساً دِهَاقاً. لا يَسْمَعُون فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً. جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾.

فالذين اتقوا ربهم بطاعته واجتناب نواهيه لهم ﴿مَفَازاً﴾ أي ظفر وفوز بجنات النعيم وخلاص من عذاب الجحيم، ولهم ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾ أي بساتين من الشجر المثمر وكروم العنب ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾ وفتيات اكتملت

(١) وهذا ليس بمستبعد على القدرة الإلّهية التي خلقت هذا الكون، وليس أسهل من تقريب ذلك للعقول من ذكر آلات التسجيل الصوتي والسينمائي التي اخترعها الإنسان والتي بواسطتها يسجل الإنسان كلامه وصورته، ولكن شتان ما بين القدرة الإلّهية المبدعة وقدرة الإنسان المحدودة.

أنوثتهن وبرزت أثـداؤهن وهن في سنّ واحدة ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ أي مـلأى متتابعة صافية لشرابهم ﴿لاَ يَسْمَعُون فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً﴾ أي لا يسمعون باطلاً من القول ولا إثماً ولا يكذب بعضهم بعضاً أو لا يسمعون كذباً من القول ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾ أي أعطاهم اللّٰه ذلك كله ثواباً وتفضلاً منه جزاءً لما عملوا من أعمال صالحة.

هذا نعيم حسي يعرضه القرآن، أما حقيقة مذاقه والتمتع به فهو فوق مدارك أهل الأرض، ونعيم الآخرة يفوق نعيم الدنيا بنوعيته ودوامه إذ نعيم الدنيا قليل زائل. يقول النبي ﷺ في وصف نعيم الآخرة في حديث قدسي ينقله عن ربه:

(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

وبعد ذلك يبين القرآن جلال اللّٰه وعظمته في يوم القيامة حيث الحكم للّٰه وحده لا ينازعه فيه أحد:

﴿رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾.

فاللّٰه هو رب السماوات والأرض وما بينهما من الخلق فهو الرحمٰن أي المنعم بجلائل النعم لا يملك أحد حق مخاطبته لتخفيف العذاب للعصاة أو زيادة في الثواب للأبرار.

ويتابع القرآن قوله:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾.

أي يوم يقوم جبريل والملائكة صفوفاً إجلالاً لعظمة الله لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرب سبحانه وقال صواباً من الكلام، وقيل لا يتكلمون في الشفاعة إلاّ في حق شخص أذن الله أن يُشفع له، وكان ذلك الشخص ممن قال صواباً في الدنيا فوحَّد الله وقال: لا إله إلاّ الله.

ثم يبين القرآن أن البعث حق لا ريب فيه وأن الفرصة سانحة لكل إنسان لكي يستعد لهذا اليوم بالعمل الصالح:

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مآباً﴾.

فيوم القيامة هو اليوم الحق لأنه كائن لا شك فيه فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه فليفعل ذلك بالإيمان بالله وطاعته.

ثم تختتم هذه السورة بالإنذار للمنكرين للبعث المنغمسين في الآثام:

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾.

فالله يحذِّر الناس من عذاب قد دنا منهم وقرب. يوم يرى كل إنسان ما قدم من خير أو شر مثبتاً في صحيفته التي سجلت فيها الملائكة أعماله ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ أي يا ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أُخلق ولم أُكلف ولم أحاسب، أو يا ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أُبعث حياً للحساب.

التفسيرُ العِلمي

يشبه الله الجبال بالأوتاد فيقول سبحانه: ﴿والجبال أوتاداً﴾ وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم كشف عنها علم الجيولوجيا وإليك البيان:

قشرة الأرض مكونة من مادتين: (١) (السيال) (Sial) وهي عبارة عن مادة غرانيتية تتكون منها كتل القارات وأغلب مركباتها: (السيليكا) و (الألومنيوم) ونظراً لقلة كثافة هذه المادة فهي تطفو فوق مادة أخرى أكثر منها كثافة هي: (السيما).

(٢) المادة الثانية التي تتكون منها قشرة الأرض هي: (السيما) (Sima) وهي مادة بازلتية يتكون منها قاع المحيطات وترتكز عليها كتل القارات، وهذه المادة أكثر كثافة من الأولى وتتألف من عناصر تغلب عليها (السيليكا) و (المغنسيوم).

ولاحظ الجيولوجيون أن (السيال) تضغط دائماً على (السيما) التي باتت بذلك لزجة إلى حدّ ما[١].

والقارات وما عليها من الجبال المكونة من مادة (السيال) تطفو على سطح مادة (السيما) كما تطفو السفن فوق سطح الماء.

ومن الملاحظ أن الجبال المرتفعة فوق سطح القارات تتجمع تحتها كتل (السيال) فيغطس ويغور جزء كبير من الجبال بين صخور (السيما) إلى أعماق تفوق كثيراً ارتفاعات هذه الجبال فوق الأرض وتلك هي الجذور (Roots) ويتناسب غور هذه الجذور تحت سطح الأرض تناسباً طردياً مع

---

(١) الأبحاث الحديثة تدل على أن الصخر الصلب ذا تعرض لضغط شديد فإنه يكتسب صفات الأجسام المرنة.

ارتفاع الجبال فوقها. فكلما استطال الجبل ارتفاعاً في الهواء، غاص جذره في باطن الأرض. ولقد تبين أن طول الجذر يفوق ارتفاع الجبال أربع مرات ونصف مرة، وعلى ذلك فإن الجبال بارتفاعها الشاهق وبجذورها العميقة تشبه الأوتاد التي يكون جزؤها الغائب في باطن الأرض أكبر من جزئها الظاهر.

النوم راحة للأبدان:

يمتن الله على عباده بأنه جعل النوم راحة وسكوناً للإنسان فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُم سُبَاتاً﴾ فالنوم آية من آيات القدرة الإلّهية، جعله سبحانه سبباً لتجديد النشاط وبدونه لا يعيش كائن حيّ. فعند النوم يتوقف نشاط الجزء المدرك الواعي من المخ أو يهبط ذلك النشاط هبوطاً كبيراً متفاوت الدرجات في نشاط كافة أعضاء الجسم وأنسجته مما يترتب على ذلك انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته، ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيباً من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أو كليهما، وتهبط وتبطىء جميع وظائف الجسم الحيوية، فالتنفس مثلاً يبطؤ ويصير أكثر عمقاً، وسرعة النبض تخف، وتوتر العضلات يضعف، وكل هذا يسبب الراحة للإنسان أثناء النوم ما عدا عمليات الهضم وإفراز البول والكليتين والعرق من الجلد فإن في وقفها عن العمل ضرراً على حياة الإنسان.

والنقص في النوم لأي سبب من الأسباب يحدثُ اضطراباً نفسيًّا، وكل الاضطرابات التي تلاحظ على الأشخاص الذين يعملون بالليل ترجع بالتأكيد إلى نقص في النوم، وثبت أن نوم الليل أكثر فائدة من نوم النهار لأن نوم الليل أعمق، وقلة الضوضاء تتيح الراحة التامة للأعصاب.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾
تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾

شرح المفردات

والنَّازِعَات غَرْقاً : أقسم الله بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار بشدة عند الموت .

وَالنَّاشِطَات نَشْطاً : وأقسم الله بالملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين برفق وسهولة .

والسَّابِحَات سَبْحاً : وأقسم الله بالملائكة التي تنزل من السماء مسرعة لأمر الله فجعل نزولهم من السماء كالسباحة .

فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً : وأقسم الله بالملائكة الذين يسبقون بني آدم بالإيمان والطاعة .

فالمُدَبِّراتِ أَمْراً : وأقسم الله بالملائكة الذين يدبرون أمر الله في أهل الأرض .

يوم تَرْجُفُ الرَّاجِفَة : يعني النفخة الأولى في الصور حيث يتزلزل ويضطرب كل شيء ويموت الخلائق .

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَة : وهي النفخة الثانية في الصور حيث يقوم الناس أحياء .

واجفة : خائفة .

أبصارها خاشعة : أبصارها ذليلة منكسرة .

لمردودون في الحَافِرَة : لراجعون أحياء كما كنا قبل مماتنا .

عِظَاماً نَخِرة : عظاماً بالية .

قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ

شرح المفردات

كَرَّةٌ خاسِرَة : رجعة خائبة غير رابحة .

زَجْرَةٌ واحدة : صيحة واحدة يجمعون بها جميعاً .

السَّاهِرة : وجه الأرض .

طُوَى : اسم للوادي المقدس عند جبل الطور .

طغى : تجاوز الحد في الكفر والعصيان .

تَزَكَّى : (تتزكى) تتطهر من الذنوب وتنمي نفسك بالخيرات .

وأَهْدِيَكَ : أرشدك إلى الطريق المستقيم .

الآية الكبرى : المعجزة الكبرى وهي تحويل العصا إلى حيّة تسعى .

أَدْبَرَ : اعرض عن الإيمان .

يسعى : يعمل الفساد في الأرض .

فحشر : جمع قومه وجنوده .

فأخذه الله : فعاقبه الله .

نَكَالَ الآخرة والأُولى : عقوبة الآخرة بالنار وعقوبة الدنيا بالإغراق في البحر .

رفع سَمْكَها : السمك هو العلو ، أي جعل مقدار ارتفاعها عن الأرض مديداً .

سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ
أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾
يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

شرح المفردات

فَسوَّاها : أتقن صنعها وأحكمه .

أغْطَشَ : أظلم .

أخرَجَ ضُحَاهَا : أظهر نورها .

دَحَاهَا : بسطها ومدها .

والجِبَالَ أرْسَاها : ثبتها في الأرض .

مَتَاعاً لَكُمْ وَلأنْعامِكُم : منفعة لكم ولانعامكم من الإبل والبقر والغنم .

الطامَّةُ الكبرى : القيامة .

مَقَامَ ربه : جلاله وعظمته ، أو القيام بين يديه .

الساعة : يوم القيامة .

أيَان مُرسَاها : متى وقت مجيئها واستقرارها .

إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا : إلى ربك منتهى علمها .

عَشِيَّةً أو ضُحَاهَا : العشية آخر النهار والضحى أوله .

سُورة النَّازعَات

ايضــاح و دروس

هذه السورة تعالج قضية البعث بعد الموت وما يعقب ذلك من ثواب وعقاب، وتبين مصير الطغاة في الدنيا والآخرة متمثلة بما جرى لفرعون وقومه.

يستهل اللّه هذه السورة بالقسم[1] على مجيء البعث بالأمور الآتية:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً. فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً. فالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾.

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ الواو: واو القسم، والنزع: جذب الشيء بشدة، والإغراق في الشيء مجاوزة الحدّ فيه، قيل: المراد بذلك ملائكة الموت تنزع أرواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالأبدان، وذلك أنه ليس من كافر يحضره الموت إلاّ وتعرض عليه جهنم فيراها قبل أن تخرج روحه، فعند ذلك تغرق روحه في جسده فيقبضها ملك الموت بعنف وشدة.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾ يقال نشط في عمله خف وأسرع فيه. قيل: هم ملائكة الموت تنزع أرواح المؤمنين برفق وسهولة لكون أرواحهم راغبة في الطيران إلى عالم القدس، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلاّ ويرى منزلته في الجنة، فعند ذلك ترغب روحه في الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج ملك الموت روحه برفق لقلة تعلقها بالبدن.

﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾ قيل هم الملائكة الذين ينزلون من السماء بأمره

---

(١) استعمل القرآن القسم في كثير من المواضع فما هي غاية القرآن من القسم هذا ما سنعالجه في آخر هذه السورة.

تعالى فجعل نزولهم من السماء كالسباحة[١].

﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ قيل هم الملائكة الذين يسبقون ابن آدم بالخير والعمل الصالح.

﴿فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً﴾ قيل هم الملائكة الذين يدبرون أمر اللّه تعالى في أهل الأرض.

وجواب القسم مضمر تقديره: لتبعثن ولتحاسبن، والدليل على ذلك ما ذكره القرآن عقب ذلك من صفات يوم القيامة:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

والراجفة هي الصيحة الأولى التي تضطرب لها الأرض وتميت الأحياء ويعبّر عنها بالنفخة الأولى في الصور، والرادفة: هي النفخة الثانية في الصور حيث يقوم الناس من قبورهم أحياء لرب العالمين، وقد جاء وصف ذلك في القرآن: ﴿وَنُفِخَ في الصُّور فَصَعِقَ مَنْ في السَّمٰوَاتِ وَمَنْ في الأَرْضِ إلاّ من شَاءَ اللّه ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرون﴾ (الزمر: ٦٨).

وهذا المشهد العظيم يجعل النفوس في وجوم وذهول ﴿قلوبٌ يَوْمَئِذٍ

(١) يرى بعض المفسرين أن الأمور السابقة المقسم بها يراد بها الكواكب أو الخيل أو غير ذلك ويرى الطبري أن المراد بالقسم التعميم فيقول: أقسم اللّه بالنازعات غرقاً ولم يخصص نازعة دون نازعة فكل نازعة غرقاً داخلة في قسمه ملكاً كان أو موتاً أو نجماً أو قوساً. وأقسم سبحانه بالناشطات نشطاً ولم يخصص اللّه بذلك شيئاً دون شيء بل عم القسم بجميع الناشطات، فالملائكة تنشط من موضع إلى موضع وكذلك الموت وكذلك النجوم وأقسم سبحانه بالسابحات سبحاً من خلقه ولم يخصص فيشمل ذلك كل سابح إلخ...

وَاجِفَةٌ﴾ أي قلوب خائفة من هول ذلك اليوم وهي قلوب الكفار ﴿أبصارها خاشعة﴾ عيونها ذليلة منكسرة.

ثم يحكي القرآن ما جرى على لسان الكافرين من إنكار للبعث واستهزاء به:

﴿يقولون: أَإِنَّا لَمَرْدُودونَ في الحَافِرَةِ. أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

فهم كانوا يقولون استهزاء: ﴿أإنَّا لَمَرْدُودونَ في الحَافِرَة[1]﴾ أي أنرجع إلى الحياة بعد الموت ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً﴾ بعد أن صرنا عظاماً بالية فانية؟ ﴿قالوا: تِلْكَ إذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي هذا الرجوع إلى الحياة الآخرة إن صح فنحن إذن خاسرون لتكذيبنا به، وهذا القول استهزاء منهم.

ثم يرد القرآن على إنكارهم واستهزائهم: ﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ القول هنا متعلق بمحذوف، أي لا تستصعبوها فما هي إلّا صيحة واحدة، والمراد بها النفخة الثانية في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ بالسَّاهِرَة[2]﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتاً في بطنها.

ثم ينتقل القرآن إلى الكلام عن قصة موسى مع فرعون متوخياً العظة والعبرة. وقصة موسى هي أكثر القصص القرآنية وروداً في القرآن لأن موسى كان نبي اليهود، وكان اليهود مجاورين للعرب في جزيرتهم يقصون عليهم أخبار الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام كما هي في التوراة التي بين أيديهم.

---

(١) الحافرة: يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي أثر فيها بمشيه فيها.

(٢) الساهرة: الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يظهر فيها أو لأن من عليها في سهر مستمر لا يذوقون النوم من الهول الذي هم فيه.

فمن أهداف القرآن في القصة أنه يتوخى التأثير على العرب باعتماد عناصر مستقاة من بيئتهم وعقليتهم هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى ليصحح المفهوم الخاطىء الذي وقع فيه اليهود أنفسهم حول ديانتهم وليدعوهم إلى الإسلام بما أظهر من حقائق ضلوا عنها وأنباء غيبية تشهد أن القرآن وحي إلّهي.

ولقد وردت قصة موسى في كثير من السُّوَر القرآنية في أساليب شتى مجملة ومفصلة، وهنا ترد قصة موسى مع فرعون مختصرة موجزة سريعة في إعطاء العبرة وهي: «هلاك فرعون بسبب طغيانه»، وفي ذلك تثبيت لقلب النبي ﷺ ووعده بالنصر على الكافرين الذين طغوا واضطهدوا المؤمنين كما نصر الله موسى من قبل على فرعون. يقول تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. اذْهَبْ إِلَى فِرْعَونَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

أي هل جاءك يا محمد خبر موسى حين ناجاه ربه بالوادي المطهر المبارك المسمى: طوى، وهو الذي يقع في أسفل جبل طور سيناء إذ قال له ربه ﴿إذْهَبْ إلى فِرْعَونَ إنَّه طَغَى﴾ أي تجاوز الحد في العصيان والكفر. فالطغيان يكرهه الله لأنه مخالف لسنته في الحياة الدنيا، ولأنه يفسد الأرض، وما يطغى الإنسان إلاّ حين ينسى ربه أو ينكره ويضل عن هداه.

ويأمر الله نبيه موسى بأن يعظ فرعون: ﴿فَقُلْ: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ والاستفهام هنا فيه تلطف ولين في القول، والمعنى: هل لك أن تتطهر من دنس الكفر وادعائك الألوهية، ومن طغيانك، ومن تعذيبك لبني إسرائيل ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ وهل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضي ربك عنك فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه، واجتناب ما نهاك عنه من

معاصيه.

فالخشية من الله لا تأتي إلا بعد الهداية، لأنه إذا هداه إلى ربه علم عظمته، والإنسان لا يخشى الله إلاّ إذا علم عظمته.

ثم يذكر القرآن ما كان بين موسى وفرعون: ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى. فَكَذَّبَ وَعَصَى. ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى. فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

لقد بيّن موسى لفرعون دعوته وأراهُ المعجزة الدالة على صدقه وهي تحوّل العصا إلى ثعبان وهي التي وُصِفَت بـ ﴿الآية الكُبْرى﴾ تعظيماً وتقريراً لقوة دلالتها وبلوغها في تأييد رسالة موسى أقصى درجة، ولكن فرعون كذب موسى وعصى أمر الله، ثم أعرض عن موسى ساعياً إلى مواجهة الذي يتهدده، والحيلولة دون تصديق الناس برسالة موسى فجمع السحرة وقام فيهم يقول: ﴿أنا ربُّكُمُ الأَعْلى﴾ فغرور فرعون، دعاه إلى ادعاء الألوهية وهو يعلم في قرارة نفسه كَذِبَ هذا الادعاء.

ولكن سنة الله تأبى على الإنسان أن يدعي الألوهية بدون أن ينال انتقام الله الشديد: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّه نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولَى. إنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ أي فعاقبه الله عقوبة الآخرة بالنار، وعقوبة الدنيا بالإغراق في البحر، إن في ذلك لعظة لمن يخاف الله ويخشى عقابه.

ثم ينتقل القرآن إلى مخاطبة منكري البعث الذين أنكروه استبعاداً لإمكان عودة الإنسان إلى الحياة بعد أن يموت وتبلى عظامه:

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

والمعنى: أأنتم أيها الناس أعظم خلقاً أم السماء التي بناها ربكم، فإن من بنى السماء هين عليه خلقكم وخلق أمثالكم وإحياؤكم بعد مماتكم،

وليس خلقكم بعد مماتكم بأشد على الله من خلق السماء.

وهذا المعنى ردده القرآن أيضاً بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السمٰوات وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾ (غافر: ٥٧).

ولقد وصف الله خلقه للسماء بالبناء ﴿أَمِ السَّماءُ بَنَاهَا﴾ والبناء ضم الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض مع ربطها بما يمسكها حتى تصبح بنية واحدة، وهكذا صنع الله بالنجوم والكواكب، وضع كلًّا منها على مدار معيّن من الآخر لا يتخطاه مع ما يمسك كُلًّا في مداره برباط الجاذبية حتى كان منها عالم واحد في النظر سمي باسم السماء التي تعلونا وتحيط بنا.

كما وصف الله السماء التي خلقها: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أي جعل مقدار ارتفاعها عن الأرض مديداً رفيعاً وجعلها متشابهة الأجزاء والشكل لا تفاوت فيها ولا خلل. ووصف الله بعض مظاهر السماء: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي أظلم ليلها وأخرج النور من أجرامها.

ووصف الله الأرض: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي بعد خلق السماء بسط الأرض ومهدها لسكنى أهلها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ بهذه الكلمات القليلة يصف القرآن كافة مظاهر الحياة على وجه الأرض وهو الماء والنبات، وليس هناك تعبير موجز يفوق النص القرآني بلاغة ودقة في الوصف.

ووصف الله الجبال: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ وإرساء الجبال هو تثبيتها وترسيخها في الأرض وهي من مظاهر قدرة الله. فبسط الأرض وإخراج مائها ومرعاها، وإرساء الجبال، هذه المظاهر إلى جانب كونها من آيات قدرة الله، فهي في الوقت نفسه منفعة للإنسان والحيوان ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

ثم ينتقل القرآن إلى الحديث عن يوم القيامة ومصير الناس آنذاك:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى. يَومَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى. وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾.

والطامة الكبرى هي القيامة، تفيض وتطغى على كل شيء بهولها، عندئذٍ يتذكر الإنسان سعيه في الدنيا ويستحضره ولكن حيث لا يفيد التذكر إلّا الحسرة والندم، ﴿وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ﴾ أي أُظهرت جهنم للناظرين فرآها الناس عياناً بادية لكل بصر.

أما أسباب العذاب فيبينها اللّه بقوله:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأْوَى﴾.

والطغيان وصف لكل من يجاوز الحد ويغلو في الكفر والعصيان، ولا يوصف بالطغيان إلاّ من آثر الحياة الدنيا وعمل لها وحدها ولم يحسب للآخرة حساباً، هؤلاء منزلهم ومأواهم في الآخرة جهنم ليعذبوا بنارها.

وبالمقابل فإن أسباب النعيم في الآخرة هي:

﴿وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ المأْوَى﴾.

أي من خاف القيام بين يدي اللّه يوم القيامة، وخاف حكم اللّه فيه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي نهى نفسه عن هواها فيما يكرهه اللّه، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك وخالف هواها، فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة.

فالذي يخشى جلال اللّه وعظمته يكف نفسه عن أهوائها. والهوى

هو ميل الطبع إلى ما يلائمه، والانجذاب إلى شيء مرغوب شراً كان أو خيراً، محموداً أو غير محمود، على أن أكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود شرعاً، ومطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات الضارة التي تسبب الألم والأذى.

فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، والنفس مجبولة على حب الهوى فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة لما تطلبه أهواؤها، وما لم يزجر الإنسان نفسه عن الهوى فإن الفكر يساعد الهوى في طلب ما شُغِفَت به النفس، فتستأنس بالآراء الفاسدة، والأطماع الكاذبة، والأماني العجيبة، ومن هنا كان الهوى سبباً في كل شرّ وبلاء.

ونهي النفس عنه أساس الفوز والنجاح، ولا يلجم الهوى ويكبحه إلاّ خوف الله الذي ينتج عنه حرمان النفس من مشتهياتها الضارة، وشهواتها المهلكة[1]، وهذا الحرمان يعوّضه الله في الآخرة بنعيم الجنة.

وأخيراً يجيب القرآن على أسئلة الكافرين الذين إذا سمعوا وصف أهوال يوم القيامة سألوا النبي ﷺ: متى قيامها وظهورها:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ والساعة هنا المراد بها القيامة، أما لفظ «ساعة» في اللغة العربية فيعني الجزء من الوقت وأضيف إليه حديثاً استعماله في جزء محدّد منه بستين دقيقة ثم غلب اسم (الساعة) على الآلة الضابطة للوقت، ولكن للقرآن استعماله الخاص للساعة فهو لا يستعملها نكرة إلاّ وكان المراد بذلك برهة من الوقت قصيرة دون تحديد لها بالدقائق والثواني، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١). أما حين يستعمل القرآن لفظ (الساعة)

---

(١) عن كتاب(ذم الهوى) بتصرف للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي.

معرّفة فتلك هي ساعة الآخرة وهي القيامة التي تنفرد دون ساعات الزمان كله بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظام الكون لما يحدث فيها من حدث هائل خطير.

لقد سأل الكفار عن الزمن الذي تقوم فيه القيامة فكان الجواب: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ أي ليس لك يا محمد من العلم بها شيء حتى تذكر وقتها ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ إلى ربك يرجع منتهى علمها وتفاصيل أمرها لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ فمهمتك يا محمد أن تُنذر بها من يوقن بوجودها فيخاف عقاب اللّٰه على عصيانه له.

ثم يصور القرآن هولها: ﴿كَأَنَّهم يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ عَشِيَّةً أو ضُحَاهَا﴾ فهي من ضخامة الوقع في النفس بحيث تتضاءل إلى جوارها الحياة الدنيا وأحداثها، وكأن أيام العمر المديد بما اشتملت عليه من ملذات وشهوات، كل تلك الحياة الطويلة تتراءى لهم كأنها ساعات من ليل أو نهار عند مرأى القيامة والحياة الآخرة.

أمن أجل هذه الحياة الدنيا الفانية ومتاعها القليل يضحي الإنسان بالآخرة الباقية الدائمة؟ ما أجهل الإنسان وأتعسه حينما يضل عن حقيقة وجوده على هذه الأرض ومآله بعد الممات.

معنى القسم في القرآن:

يستعمل المتكلم القسم لدفع الشك عن المستمع، لأن الأساس في القسم أن الإنسان إذا أقسم فإنه يحلف بشيء عظيم في نفسه ونفس السامع، ويكون القسم عندئذٍ لتثبيت ما يذهب إليه المقسم في ذهن المخاطب بغية تصديقه فيما يقول، وذلك لاعتقاد السامع أن القسم الكاذب ينتهي إلى هلاك صاحبه، وهذا ناشىء في البدء من ارتباط القسم بفكرة القداسة الدينية،

ولذلك كان المعبود هو أول ما يقسم به وعلى هذا جاء الحلف عند العرب في الجاهلية فقد كانوا يقسمون بأكثر شيء قداسة عندهم فحلفوا بالله، جاء في القرآن: ﴿وَأَقْسَموا بالله جَهْدَ أيمانهم﴾ الأنعام: ١٠٩، وأقسموا بأصنامهم وغير ذلك.

فعرب الجاهلية عرفوا القسم واستخدموه في كلامهم حتى عدّه الشاعر الجاهلي زهير إحدى وسائل ثلاث لإحقاق الحق فقال:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

ولقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى ما ألفوه من أساليبهم ليكون مفهوماً لديهم وذا وقع في نفوسهم فاستعمل القرآن القسم في مواضع كثيرة وخصوصاً في أوائل ما نزل من السور المكية لأنه كان يخاطب قوماً ينكرون رسالة محمد ﷺ والبعث والحساب.

وقد جاء القسم في القرآن فاتحة لبعض السور كما جاء في سورة النازعات التي سبق شرحها وسور أخرى في هذا الجزء من التفسير، ووقوع القسم في ابتداء السورة له أثره النفسي فإن البدء به مدعاة لجذب انتباه السامع لما يحدثه القسم في نفسه من الرهبة، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال، خصوصاً أن ما يقال مبني على قسم وفي هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثراً بما يسمع مما لو فاتحته بما تريد من طريق الجدال والنقاش، ذلك أن الإقناع العقلي فيه انتصار حاد لعقل على آخر، ومن الصعب على النفوس الجامحة العنيدة كنفوس العرب في جاهليتهم أن تقر لأحد المتجادلين بالغلبة أو تسلم له بالانتصار عن طريق الإفحام، بل كثيراً ما يكون السامع غير عارف بأصول الإقناع العقلي فلا فائدة إذن من فتح هذا الباب أمامه والدخول عليه من هذا الطريق الذي يجهله.

وإذا رجعنا إلى ما أقسم اللّٰه به في القرآن وجدنا أنه أقسم سبحانه بذاته فقال: ﴿فلا أُقسِمُ بِرَبِّ المشارِقِ والمغارب﴾ المعارج: ٤٠. وقال سبحانه: ﴿قُل بلى وربي لتبعَثُنَّ﴾ التغابن: ٧.

وقد يقسم اللّٰه بشيء أنكره بعض الناس، أو ذهلوا عن موضع العبرة فيه، أو غفلوا عن حكمة اللّٰه في خلقه، أو انعكس عليهم الرأي في أمره فاعتقدوا فيه غير الحق فيقسم اللّٰه به إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره أو لتعظيم شأنه في نفس من يحقره أو لتصحيح فهم خاطىء في هذا المجال.

فمما أقسم اللّٰه به سبحانه: يوم القيامة ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوم القِيَامَة﴾.

ومما أقسم اللّٰه به: حياة النبي ﷺ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهم لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الحجر: ٧٢. لبيان شرف المقسم به وعلو قدره.

وأقسم اللّٰه بالأماكن التي كانت موطئاً للأنبياء كما في سورة التين.

وأحياناً يكون الغرض من القسم توجيه النظر إلى المظاهر الكونية فأقسم سبحانه بالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وذلك للتوصل منها إلى خالقها والتأمل فيها تأملاً يظهر عظمة مُبدعها، أو لدحض الاعتقاد بأنها آلهة تتصرف في الكون كما اعتقد بذلك بعض الشعوب قديماً، فمثلاً الشمس التي فُتن بها بعض الناس وعبدوها لما رأوا فيها من المنافع، فاللّٰه حين يقسم بالشمس لأن لها أهمية عظيمة عند السامعين يأتي بعد القسم بها بقسم آخر يناقض ألوهيتها فيقول: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ فالقسم بالليل الذي يغطيها فتأفل يناقض ألوهيتها لأن الذي يُعبد يجب أن لا يأفل، ولذلك قال إبراهيم عن الشمس ـ التي كان يعبدها قومه ـ عندما غابت عن الأنظار: ﴿إني لاَ أُحِبُّ الآفلين﴾.

التفسير العلمي

ظلمة السماء:

يقول تعالى متحدثاً عن قدرته في خلق السماء: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ اغطش أي أظلم، ومن المعروف أن الليل مظلم وإضافة الإظلام إليه هو تأكيد لظلمة السماء، ولكن ما حقيقة هذا التأكيد؟ إنه إشارة إلى حقيقة عُرِفت حديثاً وهي أن الظلام يعم الفضاء الكوني، وإذا كنا نرى النهار فإن ذلك يقتصر على جو الأرض وليس على السماء، فإذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الفضائي الذي يحيط بأرضنا كما تجاوزه ملاحو الفضاء والسفن الفضائية فإن السماء تبدو كما بدت لهم سوداء حالكة ولو كانت الشمس طالعة، وتتراءى الشمس والنجوم أجساماً مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر في تخفيف الظلام لأن الضوء في ذاته لا يُرى وليس في ذلك الجو المظلم ما يشتت ضوء الشمس ويعكسه إلى العين كما يحدث في جو الأرض أثناء النهار، فلولا الهواء وما يحمل في جو الأرض من ذرات تعكس نور الشمس لبدت الأرض للناس حالكة السواد حين تكون الشمس طالعة.

والمفسرون القدامى لم يخطر ببالهم أن السماء من وراء جو الأرض سوداء حالكة والشمس طالعة ففسروا الليل بليل الأرض الذي عهدوه رغم إضافة الليل في الآية إلى ضمير راجع إلى السماء.

وبعد ذلك يقول سبحانه: ﴿وأخرج ضُحَاها﴾ الضمير في ضحاها يرجع إلى السماء أيضاً وما السماء إلاّ مجموعة الأجرام السماوية، والضحى هو النور، فاللّه سبحانه أخرج النور من الأجرام السماوية، وإخراج النور منها لا يقدر عليه إلاّ اللّه سبحانه فليس نورها كضوء مصابيح الإنسان أو كالتيار الكهربائي، بل هذا النور يحدث نتيجة تفاعلات ذرية هائلة في جوف النجم، هذا مع العلم أن كل نجم هو كالشمس في طبيعته.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ
تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن

شرح المفردات

عبس : قطب وجهه ، والذي عبس هو النبي محمد ﷺ .

تولّى : أعرض بوجهه .

يزكّى : يتطهر من الآثام ، وينمي نفسه بالخيرات .

يذكّر : يعتبر ويتعظ .

الذّكرى : الموعظة .

استغنى : صرفه غناه عن سماع الهداية .

تصدّى : تتعرض له وتقبل عليه .

وما عليك ألّا يزكّى : ليس عليك ملامة في ألا يتطهر من كفره فيسلم .

يسعى : يسرع إلى التعلم والهداية .

يخشى : يخاف الله .

تذكرة : موعظة .

شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ
شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ
أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا

شرح المفردات

ذَكَره : استحضره في ذهنه وتدبره .

في صحف مكرمة : صحف القرآن المعظمة عند الله والتي يجب تكريمها .

مرفوعة : عالية القدر .

مطهرة : أي مطهرة من التغيير والضلالة.

سفرة : جمع سافر بمعنى سفير وهم الملائكة لأنهم وسائط الوحي بين الله ورسله .

كرام : شرفاء يكرمهم الله .

بررة : أتقياء لله مطيعون له .

نطفة : خلية الإنسان المتكونة من ماء الرجل وبويضة الأنثى .

فقدَّره : فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء.

السبيل يسّره : يسر له الخروج من بطن أمه.

أنشره: بعثه حياً بعد الموت.

كلا : ردع للإنسان عن تكبره وكفره.

لَمَّا يقض ما أمره : لم يؤد الإنسان ما أمره الله به من شكر نعمته.

صبنا الماء صبا: أنزلنا المطر غزيراً.

شققنا الأرض: المراد شق الأرض بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر.

ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

شرح المفردات

حبّاً : الحبوب من الحنطة والشعير والذرة وغير ذلك.

قضباً : ما أُكل من الخضار طازجاً.

حدائق غُلْباً : البساتين ذات الأشجار الباسقة المتكاثفة.

أبّاً : مرعى تأكله البهائم .

متاعاً لكم : أي منفعةً ومتعة لكم .

أنعامكم : الإبل والبقر والغنم .

الصّاخة : هي الصيحة التي تكون فيها القيامة وهي تصم الآذان لشدتها .

صاحبته : زوجته .

شأن يُغنيه : حال يشغله عن غيره .

مُسْفرة : مشرقة متهللة .

مستبشرة : مسرورة بنيل كرامة الله ونعيمه .

عليها غبرة : الغبرة ما دقّ من التراب وهنا كناية عن تغير الوجه للغم .

ترهقها قترة : يغشاها سواد وظلمة.

الفجرة : جمع فاجر وهو المنهمك في الآثام الخارج عن حدود الله

سُورَةُ عَبَسَ

ايضـــاح و دروس

هذه السورة تتحدث عن دلائل القدرة الإلّهية في خلق الإنسان والنبات كما تتحدث عن القيامة وأهوالها، وفيها أيضاً عتاب من الله لنبيه محمد ﷺ.

تـستهـل هـذه السـورة بـذكـر حـادث معين جـرى بين النبي ﷺ وبين صحـابي أعمى فقير اسمـه عبـد الله ابن أم مكتـوم إذ أقبـل على النبي ﷺ وهـو مشغول في حـديثه مـع كبراء قـريش وأشرافهـا في مكة يـدعوهم إلى الإسـلام رجـاء أن يُسلم بـإسـلامهم أتبـاعهم من قـريش والعـرب، فقـال ابن أم مكتـوم: يا رسـول الله أقرئني وعلمني ممـا علمك الله، وكـرّر ذلك وهـو لا يعلم انشغال النبي ﷺ بـالقوم، فكـره النبي من ابن أم مكتوم قـطعه لكلامه مع القوم فعبـس وأعرض عنه فنزلت الآيات التالية:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أنْ جَـاءَهُ الأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيك لَعَلَّه يَزَّكَّى. أو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَه الذِّكْرَى. أمَّا مَن استغنى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ ألاَّ يَزَّكَّى. وَأمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾.

فـالنبي ﷺ عبس في وجه الأعمى وأعـرض عنه، ويـلاحظ أن عبـارة القـرآن أتت بضمـائـر الغيبـة ﴿عَبَسَ وَتَـوَلَّى﴾ فلم يقـل سبحـانـه: «عبست وتوليت» تلطفاً بالنبي ﷺ.

ثم يخاطب الله النبي ﷺ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أي وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعلّ هذا الأعمى الذي عبست في وجهه يتطهر من ذنوبـه بما يتلقاه منك من الهدى ﴿أو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أو يتعظ بما يسمع منك من الهدى فتنفعه موعظتـك ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ أمـا من استغنى عن الإيمان

وعما عندك من الهدى ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ فأنت تتعرض له بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ وليس عليك بأس في أن لا يتطهر من كفره فيسلم ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى﴾ وأما من جاءك مسرعاً في طلب الخير وهو يخاف الله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ فأنت تعرض عنه وتتشاغل بغيره.

فالنبي ﷺ كان في موقف المجتهد فيما رآه الأصلح لنشر الدعوة الإسلامية، وليس في موقف الممتنع عن تعليم الأعمى، ولكن الله يرمي من هذا العتاب إلى إلغاء امتيازات الأشراف والإشادة بذوي النيات الحسنة من الناس ولو كانوا ذوي عاهات، وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق مهما علت مراكزهم الاجتماعية، فَضَعْفُ ذلك الأعمى وفقره لا يجوز اعتبارهما سبباً للعبوس في وجهه، والإعراض عنه مهما بدرت منه من أخطاء، فإنه مرهف الحس، طيب النفس، إذا سمع آيات الله اتعظ بها.

ثم إن العبوس لم يعلم به الأعمى ولم يشاهده ولكن هذا العمل كان من النبي ﷺ خلاف الأولى والأفضل، ولهذا عاتب الله نبيه بهذه الآيات تعليماً للمسلمين لتوفير التعليم للعميان، وعدم جرح شعورهم المرهف، كما أن في ذلك أيضاً إشادة بالعميان الذين يحرصون على تلقّي هدى الله.

ومن جهةٍ أخرى فإن هذا العتاب الإلَهي من أعظم الدلائل على كون القرآن وحياً إلَهياً وعلى صدق نبوة محمد ﷺ فلو كان النبي محمد من عظماء الرجال فقط دون أن يكون نبياً وكان القرآن من تأليفه ـ كما يزعم أعداؤه ـ لما سمح النبي محمد ﷺ أن يُعرض ما عوتب به على أنظار الخاص والعام، ولَما رضي أن يقول أن هذا العتاب وحي إلَهي.

وبعد ذلك العتاب يقول تعالى:

﴿كَلَّا، إنَّها تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بأيدي سَفرةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

كلا: كلمة ردع وزجر، أي لا تَعُد يا محمد إلى مثل ذلك ﴿إنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ إن هذه السورة، أو هذه الآيات هي عظة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ فمن شاء من عباد اللّه استحضره في ذهنه وتدبّره ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ وهذا القرآن منتسخ من اللوح المحفوظ وهو في صحف معظمة موقرة ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾أي عالية القدر والمكانة ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ من الدنس والزيادة والنقص ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ أي بأيدي ملائكةٍ جعلهم اللّه سفراء بينه وبين رسله ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ مكرمين عند اللّه أتقياء صلحاء.

بعد تقرير هذه الحقيقة يندّد اللّه بالإنسان الذي يجحد نعمته ويتمرد على أوامره.

﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ. ثُمَّ إذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

﴿قُتِلَ الإنْسَانُ﴾ أي لُعِنَ والمراد به الكافر، وهذا دعاء عليه بأشنع الدعوات، وتعجب من إفراطه في الكفر ﴿مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ استفهام عن كيفية خلقه وللتحقير من شأنه ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ والنطفة هي ماء الرجل التي تحتوي على ملايين الحيات المنوية وإحدى هذه الحيات تلقح بويضة الأنثى وهذه أول عملية تكوين الجنين ثم يصبح علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ثم سهل له الخروج من بطن أمه بفتح باب الرحم عند الولادة. وقد يكون المعنى: ثم هداه للإسلام ويسّره له. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ثم أماته اللّه وجعل مثواه في قبر بجوف الأرض إكراماً له ﴿ثُمَّ إذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ ثم إذا حان موعد القيامة أعاده اللّه حيّاً للحساب والمجازاة

على أفعاله.

وهنا يأتي السؤال: هل استعد الإنسان لهذه النهاية، ويأتي الجواب مِن اللّه ﴿كَلَّا، لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي ردع وزجر للإنسان الكافر الذي يكفر بنعمة ربه، ولا يفعل ما هو مطلوب منه من الواجبات استعداداً ليوم الحساب.

وبعد أن بيّن القرآن أساس نشأة الإنسان وما ينتهي إليه أمره شرع اللّه سبحانه في تعداد نعمه على الإنسان لعله يشكرها، من ذلك توجيه نظره إلى الطعام الذي يقتات به والذي هو سبب استمرار حياته، فقال سبحانه:

﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً. فأنبتنا فيها حبًّا. وَعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخلاً. وَحَدَائِق غُلْباً. وَفَاكِهَةً وأبًّا. مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

إن معجزة إنبات النبات كمعجزة خلق الإنسان وكلاهما يتكون من خليّة وهي المعروفة باسم (البروتوبلازم).

وبروتوبلازم النبات والإنسان متشابهتان إلى حدّ كبير، ولكن المعجزة تكمن في هذه الخلية الموجودة في بذور النبات والحبوب والفواكه والأشجار والقادرة على شق الأرض، وصنع حبوب أو نباتات أو أشجار مثلها.

كما أن الحكمة الإلّهية تكمن في المطر الذي يغذي هذه النباتات جميعها ﴿أنّا صَبَبْنَا الماءَ صبّاً﴾ وكيف يتكوّن هذا المطر من بخار المحيطات والأنهر والبحيرات، وكيف ينزل بدوره إلى الأرض في فصول معيّنة فيكون به دوام الحياة على هذه الأرض، ثم كيف كان هذا المطر سبباً في شق الأرض وإنبات الحبوب، وكروم العنب، والخضار الطازجة، والزيتون والنخيل

﴿وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ أي بساتين ذات أشجار غلاظ متكاثفة وبالإضافة إلى ذلك ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾ والأب هو مرعى الدواب. ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ لتنتفعوا بهذا الزرع أيها الناس ولتنتفع به أنعامكم من الإبل والبقر والغنم بما ترعاه من العشب

ثم ينتقل القرآن إلى تذكير الناس بالقيامة وأهوالها:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

فإذا جاءت ﴿الصاخة﴾ وهي الصيحة التي تكون بها القيامة فهي تصخ الأسماع أي تصمها لشدتها عندئذٍ يتنكر الإنسان لأقرب الناس إليه: إنه يفر من أخيه، وأمه وأبيه وزوجته وبنيه فلكل إنسان شأنه، ولديه الكفاية من الهم.

وأخيراً يصور القرآن أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين يوم القيامة:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ. أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.

فوجوه المؤمنين يومئذٍ ﴿مُسْفِرَة﴾ أي مشرقة مضيئة ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ ضاحكة مسرورة بما أعطاها الله من النعيم والكرامة مستبشرة لما ترجو من الزيادة. أما وجوه الكفار يومئذٍ فهي ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي عليها غبار ودخان، وهذا كناية عن تجهم الوجه للغم ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تغشاها ذلة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أولئك هم الكفرة بالله الذين كانوا لا يبالون بما أتوا من معاصي الله ومحارمه فجزاهم الله بسوء أفعالهم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ
سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ
﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ

شرح المفردات

الشمس كوِّرت : لُفّت وذُهب بنورها أو سقطت .

النجوم انكدرت : تناثرت من السماء فتساقطت وقيل ذهاب أضوائها .

الجبال سُيِّرت : نزعت من أماكنها وسيرت منفصلة على وجه الأرض .

العِشَارُ : جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر .

عُطِّلت : أهملت ولم يُعن بها .

البحار سُجِّرت : فاضت وصارت بحراً واحداً ، وقيل : اشتعلت والتهبت .

النفوس زوِّجت : قُرنت الأرواح بالأجساد .

الموؤودة : المدفونة حية .

السماء كشطت : نزعت عن مكانها .

الجحيم : دار العذاب في الآخرة .

سُعِّرت : ألهبت وأوقدت بالنار المتأججة .

أُزلفت : قربت للمتقين .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ ﴾

شرح المفردات

عَلِمَت نفس ما أحضرت : أي علمت كل نفس ما عملت من خير أو شر .

فلا أُقسم : معناها حقاً أقسم و (لا) للتوكيد .

الخنَّس : من الخنوس وهو الاستخفاء ، قيل إنها الكواكب لأنها تختفي في النهار .

الجوار : أي الأشياء التي تجري . قيل إنها الكواكب لأنها تسير في أفلاكها .

الكنَّس : أصلها من كناس الظبي وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر ، قيل إنها الكواكب فهي تستتر وقت غروبها كما تستتر الظباء في بيتها .

والليل إذا عسعس : أدبر ظلامه .

الصبح إذا تنفَّس : أضاء وتبلج .

إنه : أي القرآن الكريم .

لقول رسول كريم : هو الملك جبريل المكلف بتلقين الوحي الإلهي إلى محمد ﷺ .

عند ذي العرش : أي عند الله صاحب العرش .

مكين : أي جبريل ذي المنزلة والمكانة عند الله .

مُطَاعٍ ثَمَّ أمين : أي جبريل مطاع في ملائكة الله : وثَمّ بمعنى هناك أي المكان الذي يطاع فيه وهو من عالم الغيب ، وأمين على وحي الله .

وما صاحبكم : أي محمد ﷺ والخطاب لأهل مكة .

الغيب : أي الوحي الإلهي .

بضنين : ببخيل .

شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩

وما هو بقول شيطان رجيم : وما هذا القرآن الكريم بقول شيطان مطرود عن الخيرات .

ذِكرٌ للعالمين : موعظة للناس جميعاً .

فأين تذهبون : فأين تعدلون عن كتاب الله وطاعته .

سورة التكوير

ايضـاح و دروس

هذه السورة تعالج حقيقتين من حقائق العقيدة الإسلامية :

أولاً : حقيقة القيامة وما يصاحبها من انقلاب كوني وأحداث ضخمة تَزْرَعُ الرُّعب والخوف في النفوس .

ثانياً : حقيقة الوحي المحمدي وما يتعلق به من صِفَةِ الملك جبريل الذي يحمله ، ومن صفَة النبي محمد ﷺ الذي يبلّغه .

فمن مظاهر القيامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وتكويرها جمع بعضها إلى بعض وسقوطها أو ستر ضوئها ، والمعروف أن الشمس كرة هائلة من غازات متجمعة ملتهبة مرتفعة الحرارة ، وكل طاقة ومظهر للحياة على هذه الأرض يرجع إلى الطاقة المنبعثة من الشمس فحين يُستر ضوؤها وتُزال من مكانها ، وتذهب هذه الطاقة يكون ذلك إيذاناً بموت كل ما على الأرض من أحياء .

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي تناثرت فتساقطت وانطفأ نورها، وإذا علمنا أن متوسط حجم النجم هو كحجم الشمس وأن عدد نجوم الكون هو بالبلايين مما لا يُحصي عددها إلاّ اللّٰه أدركنا هول تساقط هذه النجوم.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ولعل جاذبية أحد الأجرام السماوية باقترابه من الأرض يقتلع الجبال وينسفها ويسيرها مستقلة عن الأرض.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وهي النوق الحوامل التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر وهي أنفس الأموال عند العرب، فلو كان للشخص ناقة عشراء عزيزة على نفسه لعطلها وأهملها في ذلك اليوم من تأثير الهول وشدة الخطب الذي يقع حينذاك.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وإذَا الوحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت، فهي تتجمع هائمة على وجهها لا تفكر في عدوان على بعضها البعض ولا يفكر القوي منها في اقتناص الضعيف، فهي في شغل شاغل عن ذلك بما نزل بها وبالكون.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فسجّرت تأتي بمعنى فاضت، فالبحار يفيض بعضها على بعض فتصير بحراً واحداً، فالجبال حين تندك ويتطاير ترابها الهائل فلا جرم أن ينصب القسم الكبير منها في البحار فتملأها وتفيض البحار ويتصل بعضها ببعض.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ والمراد بالنفوس الأرواح التي هي أمر رباني لا يعلم سرها أحد، والروح لا تفنى بفناء البدن، وتبقى

بعد الموت. ويوم القيامة ترد الأرواح لأبدانها بعد أن يكون الله سبحانه قد أعاد خلق هذه الأبدان المتحللة بالتراب بهيئة مادية جديدة كما قال سبحانه: ﴿وَنُنْشِئَكُم في مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ الواقعة: ٦١. فالبعث يوم القيامة يكون بالأرواح والأجساد معاً. وقيل في معنى: ﴿وإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَت﴾ أي قرنت النفوس بأمثالها في الصلاح والسوء فيجتمع كل فريق مع نظيره.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا المَوؤودَةُ سُئِلَتْ﴾ وهي البنت المدفونة حية، وقد كان العرب يئدون بناتهم أحياء إما خوف الفقر، وإما خوف العار من سبي النساء واسترقاقهن، وكان يحصل ذلك خلال الحروب التي كانت مستعرّة على الدوام بين القبائل، وكانت المرأة إذا سُبيت أصبحت مسترقّة مملوكة لمن سباها، فالموؤودة تُسأل والمراد بسؤالها إثارة قضية الوأد برمتها، لأن الموؤودة ليست هي المسؤولة، فهي المظلومة، والمراد سؤال الظالم والقاتل عن الذنب الذي اقترفته وذلك تشنيعاً على قاتلها واستهجاناً لهذا العمل الإجرامي الذي اعتبره القرآن عملاً رهيباً وذكره في سياق أحداث الكون وانقلاباته. وفي قوله سبحانه: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وعيد لكل من يعتدي على نفس بريئة بالقتل، فقتل النفس ظلماً بغير حق من أشد الآثام والذنوب التي يحاسب عليها الجاني بالعذاب الشديد يوم القيامة على ما جاء في كثير من آيات القرآن الكريم[1] وهي من أول الذنوب التي يُحاسب عليها الإنسان يوم القيامة، فقد قال النبي ﷺ: (إن أول ما يحكم بين العباد في الدماء)[2].

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ وهي صحف الأعمال،

(١) راجع كتاب (الخطايا في نظر الإسلام) للمؤلف.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ونشرها هو فتحها بعد أن طويت عند الموت وهي الصحف التي كتبت فيها الملائكة ما فعله الناس في دنياهم من خَيْرٍ أو شرّ يراها الناس منشورة أمامهم يوم القيامة.

فنشر صحيفة الإنسان يحمل معنى الفضيحة، فكل ما كان يفعله الإنسان في حياته من إثم خفي وكان حريصاً على ستره إذا به يوم القيامة منشور ظاهر للملأ.

ومن مظاهر القيامة: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ فالسماء تنزع من مكانها كما يُنزع الغطاء عن الشيء، وهو تصوير لما سيحدث من تغيّر في الكون، وأنه لن تظل الأرض كما هي، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْض والسَّمٰوات﴾ إبراهيم: ٤٨.

ثم يأتي المشهد الأخير للقيامة وهو وصف جهنم التي أعدها اللّه للعصاة ﴿وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي أُوقدت وزيد في إشعالها.

وفي مقابل ذلك وَصْفُ الجنة للمتقين ﴿وَإِذا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قربت وأدنيت من المتقين.

هذه جميعها مظاهر القيامة التي ذكرتها هذه السورة فعندما يحصل كل ذلك: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ﴾ تنكير النفس يفيد العموم، فكل نفس تعلم جميع ما عملته من خير أو شر بإحضار صحف أعمالها التي كتبتها الملائكة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَت مِنْ خَيْرٍ مُحْضراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ آل عمران: ٣٠.

ثم يقسم اللّه بجملة أمور على أن القرآن وحي أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ بواسطة الملك جبريل:

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ[١]. الْجَوَارِ[٢] الْكُنَّسِ[٣]. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

أقسم الله بأشياء تغيب عن الأنظار، وتجري مراراً، وتستتر أخرى.

كما يقسم الله بالليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي إذا أدبر بظلامه.

ويقسم سبحانه أيضاً بالصبح إذا أشرق وأضاء ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ هذا التعبير من فصاحة القرآن التي اختص بها، فالتنفس هنا يعرف بعلم البلاغة باسم الاستعارة وحقيقته بدء انتشاره فكأنما كانت الطبيعة هادئة هاجعة لا تحس فيها حركة ولا حياة فلما أقبل الصبح صحا الكون ودبّت الحياة في أرجائه، فالتنفس علامة الحياة، كما أن انقطاعه علامة الموت والسكون.

هذا القسم كله قد يكون ـ والله أعلم ـ رمزاً للرسالات الإلّهية السابقة ثم اختفت حقيقتها بما طرأ عليها من البدع والتحريف والخلافات حولها،

---

(١) الخنس: الخنوس هو الانقباض والاستخفاء، يقال: خنس الرجل إذا توارى وغاب.

(٢) الجواري: جمع جارية من جرى يجري.

(٣) الكنّس: جمع كانس وهو الداخل في الكناس، والكناس مقر بقر الوحش أو الظبي الذي يتخذه من أغصان الشجر ليستتر به.

يرى كثير من المفسرين استعارة هذه المعاني اللغوية للنجوم والكواكب فقالوا: أقسم الله بالنجوم أو الكواكب التي تخنس بالنهار أي تختفي، والجواري أي جريها في أفلاكها: وتكنس أي تستتر وقت غروبها وتغيب عن الأنظار كما تكنس الظباء في مسترها الذي أعدته من الشجر أو تكنس بالنهار فلا ترى. وقيل المراد بالقسم بتلك الأمور هي الظباء أو بقر الوحش فهن خنّس إذا رأين الإنسان فتجري وتدخل مقرها لتستتر به. وأما الطبري فيرى عدم التخصيص وأخذ المعنى على عمومه اللغوي.

فعم الظلام الشعوب واختفى نور الهداية. وبعد هذا الظلام أراد الله أن يخرج منه صبحاً، صبح هداية، فبعث الله رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، فكأن رسالة محمد ﷺ هو تنفس الصبح للبشر.

لقد أقسم الله بذلك كله على أن ما أخبر به محمد من القرآن هو قول نزل به جبريل وحياً من ربه، وبلغه للنبي ﷺ الذي بلّغه بدوره إلى أمته:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ لقد وصف القرآن جبريل بأنه ذو قوة شديدة وذو مكانة عالية لدى الله صاحب العرش. والعرش سمي به مجلس السلطان اعتباراً بعلوه، وكني به عن العز والسلطان والمملكة، وعرش الله لا يعلمه البشر على الحقيقة إلاّ بالاسم.

كما يصف الله جبريل ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة وأمين عند الله على وحيه ورسالته.

ثم ينتقل الله إلى وصف نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ وفي التعبير بـ ﴿صَاحِبُكُم﴾ إقامة الحجة على كذب أهل مكة في دعواهم بأنه مجنون، فإنه كان صاحبهم الذي خالطوه وعاشروه قبل النبوة وعرفوا عنه ما لم يعرفه سواهم من استقامة وأمانة وكمال عقل، فكيف يصفونه بالجنون بعد النبوة؛ ومحمد ﷺ قد رأى الملك جبريل على صورته وله ستمائة جناح في الأفق من ناحية المشرق ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾.

كما أن محمداً لا يبخل بتعليم القرآن الذي علّمه الله إياه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

والقرآن الكريم ليس كما يدعي الكفار ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ فقد كان الكفار يقولون بأن القرآن من أقوال الشياطين فقد كانوا يعتقدون أن كهنتهم يعلمون الغيب وأنه سخر لهم شياطين من الجن تسترق

السمع من الملأ الأعلى وتأتيهم بالأخبار الغيبية، فالله سبحانه يقول لهم بأن الشياطين لا توحي بمثل كلام القرآن الذي فيه الحق والخير والغيب والإعجاز. فإذا كان الأمر كذلك ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي فأي طريق تسلكون في تكذيبكم للقرآن وتعدلون عنه.

وأخيراً يبين الله أن القرآن هو موعظة للناس لمن شاء الاستقامة منهم:

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِين. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

فالله جعل للإنسان الحرية في اختيار الطريق الذي يسلكه فإما طريق الهدى وإما طريق الضلال غير أن مشيئة الإنسان مقيدة ضمن مشيئة الله، فليست مشيئة الإنسان مطلقة. كما قال تعالى في ختام السورة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فمشيئة الله تتجلى في إرسال الرسل لهداية الناس وإرشادهم إلى سبيل الرشاد والتحذير من سبل الضلال، ومشيئة الإنسان تتوضح في اختياره لأحد السبيلين.

والله سبحانه يوفق إلى الهدى من اتبع سبيله ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ من اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ المائدة: ١٦ ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ التغابن: ١١.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ

شرح المفردات

السماء انفطرت : انشقت .

الكواكب انتثرت : تساقطت متفرقة .

البحار فجّرت : اختلط بعضها ببعض فصارت بحراً واحداً ، وقيل : ذهب ماؤها .

القبور بُعثرت : قلب ترابها وخرج من فيها أحياء .

ما غرّك بربك : أي شيء خدعك فكفرت بربك .

فسوّاك : جعلك حسن الصورة سالم الأعضاء .

فعدلك : جعلك معتدلاً متناسب الخلق .

في أي صورة ما شاء ركّبك : خلقك في الصورة التي اقتضتها مشيته .

تكذّبون بالدين : تنكرون يوم الجزاء .

لحافظين : أي رقباء من الملائكة يحصون أعمالكم ويحفظونها .

كراماً كاتبين : كراماً عند الله يكتبون أعمال الناس .

لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

شرح المفردات

الأبرار : المتقون الطائعون لأوامر الله .

الفجار : المشركون المخالفون لأوامر الله .

يصلونها : يقاسون حرّ جهنم .

سُورَةُ الإنفِطار

ايضـــاح و دروس

هذه السورة تعالج قضية يوم الحساب، وما فيه من أحداث كونية مروعة، وما يعقب ذلك من ثواب وعقاب للإنسان على أعماله، يتخلل ذلك عتاب مبطن بالوعيد الشديد للذين يقصرون في حق ربهم، وينكرون يوم الجزاء.

يستهل اللّه هذه السورة بوصف بعض أهوال القيامة:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ. وَإِذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ. وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

فاللّه سبحانه يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي انشقت، والمراد بذلك التغير العنيف في هيئة الكون وانتهاء نظامه المعهود ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي تساقطت، والمراد بذلك خروجها عن أفلاكها وإفلاتها من ذلك

الرباط الوثيق التي هي فيه ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فتح بعضها إلى بعض واختلط عذبها بمالحها، وقد يحصل ذلك ـ والله أعلم ـ من تأثير نسف الجبال والتغير في طبيعة الأرض ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي قلب ترابها وخرج من فيها من الموتى أحياء. عند كل هذه التغيرات الكونية: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ[1]﴾ أي علمت كل نفس ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله وطاعته.

ثم ينتقل القرآن إلى توجيه الخطاب إلى الإنسان المقصر في حق ربه مذكراً له بِنِعَمِ ربه عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أي ما الذي خدعك بربك في دنياك فجعلك تقصّر في حقه عليك وتتهاون في طاعته، وتتجرأ على عصيانه، وهو ربك الكريم الذي أغدق عليك من كرمه وفضله ما يفوق الوصف، فهو سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ أي الذي أوجدك من العدم، وسواك بهذا الشكل الكامل، وجعلك معتدلاً متناسب الخلق في جميع أعضاءك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي أبدعك على الصورة التي اقتضتها مشيئته من الطول أو القصر، ولون البشرة واختلاف الشكل.

هذه التسوية الخارقة في خلق الإنسان تبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي، وفي تكوينه الروحي مما استحق به خلافة الأرض، وهنالك المؤلفات الوافية في وصف كمال التكوين الجسدي للإنسان وأسراره [2] بما

---

(١) قيل المراد بأخرت هو ما سنّه الإنسان من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها الناس بعد موته فيكون له مثل أجر العامل أكان عملاً صالحاً أم سيئاً.

(٢) نشير إلى بعضها مثل الجهاز الهضمي، والجهاز الدموي والجهاز التنفسي والجهاز التناسلي والجهازالعظمي والجهاز العصبي والجهاز اللمفاوي، وأجهزة الذوق والسمع والبصر والنطق وغير ذلك.

يجعل طلبة الطب يمكثون السنين الطوال في سبر أغوارها في معاهد الطب.

ثم يكشف القرآن عن علة غرور الكافر وإعراضه عن طاعة ربه، فيقول إن السبب في ذلك هو التكذيب بيوم الجزاء ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُون بِالدِّينِ﴾ كلا: ارتدعوا أيها الكفار عن الاغترار بكرم اللّه وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي، بل أنتم تكذبون بالدِّين: أي بيوم الحساب يوم يدين اللّه العباد بأعمالهم، فالتكذيب بيوم الحساب هو السبب لكل الشرور التي تجتاح العالم، فلو آمن الإنسان بذلك اليوم لكان رقيباً على أعماله محاسباً نفسه على كل خطوة يخطوها، مبتعداً عن الشر وعن كل ما يغضب ربه.

ويلفت القرآن نظر الإنسان إلى دقة المراقبة الإلّهية التي تحيط به:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ ما تفعَلُونَ﴾.

أي وإن عليكم أيها الناس رقباء من الملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها فكل إنسان له ملكان ملك عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات ﴿كِراماً كاتبين﴾ كراماً على اللّه يكتبون أعمالكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلونَ﴾ يعلم هؤلاء الملائكة الحفظة ما تفعلونه من خير أو شر فيحصون ذلك عليكم، فلا يظن الإنسان أنه خلق عبثاً دون مراقبة أو حساب على أعماله يوم القيامة.

والملائكة الذين يحصون أعمال الإنسان هم مخلوقات كرام لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وقد خلقهم اللّه من نور، ولا يستطيع حس الإنسان وعلمه سبر كنههم. والاعتقاد بهم من الأمور الغيبية التي أوجب اللّه علينا الإيمان بها.

ثم ينتقل القرآن إلى بيان مآل الإنسان على ضوء الإحصاءات التي

سجلتها الملائكة:

﴿إنَّ الأبرار لفي نَعيمٍ. وإنَّ الفُجَّارَ لفي جَحيمٍ. يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّين. وَمَا هُم عَنْها بغَائبين﴾.

فهؤلاء الأبرار هم في الجنة يتنعمون بما أعطاهم الله به من نعيم والأبرار هم المتقون الطائعون لأوامر الله، وطاعة الله تشمل كل خير وفضيلة فيها الخير للإنسان والمجتمع. أما الفجار وهم المشركون المخالفون لأوامر الله المستبيحون كل شر فجزاؤهم جهنم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين﴾ يقاسون حرّها يوم الجزاء ﴿وما هُم عنْها بِغَائبين﴾ وما هم عن جهنم بمخرجين.

وأخيراً يذكر القرآن يوم الجزاء فيعظم من شأنه واصفاً عجز العقل الإنساني عن اكتناه حقيقته: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

فهنا تهويل لشأن يوم الجزاء بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الإنسان وفوق ما يتصوره.

ففي ذلك اليوم لا يستطيع الإنسان أن يقدم لغيره شيئاً من النفع، ولا أن يدفع عنه الضر، فكل الناس في قبضة الله سبحانه:

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيئاً وَالأَمْرُ يومَئِذٍ لِلَّه﴾.

فالأمر كله صار لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات والزعامات وحصل الملك لله الواحد القهار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا

شرح المفردات

ويْلٌ : قبح وهلاك لهم ، وقيل : الويل واد في جهنم يهوي الكافر فيه .

للمطففين : الذين يبخسون الناس حقهم في الكيل والوزن .

اكتالوا على الناس : أخذوا من الناس بضاعة بواسطة الكيل .

يسْتَوْفون : يأخذون حقهم وافياً زائداً .

كالوهم أو وزنوهم : كالوا لهم أو وزنوا لهم .

ألا يَظُنُّ : ألاّ يعلم.

مبعوثون : يقومون من قبورهم بعد مماتهم للحساب والجزاء .

كلا : كلمة ردع وزجر عما كانوا عليه .

سجِّين : أي في سجن في الأرض السفلى .

كتاب مرقوم : أي مكتوبة أعمالهم فيه ، أو له علامة خاصة تدل على شقاء صاحبه.

يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ١٨
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

شرح المفردات

مُعْتَدٍ : متجاوز عن منهج الحق .

أساطير الأولين : أباطيل وأكاذيب توارثها الناس عن أسلافهم دون التحقق من صدقها .

ران على قلوبهم : غطى وغلب على قلوبهم . والرين شيء كالصدأ يغشى القلب .

لصالوا الجحيم : يدخلون النار ويقاسون حرّها .

علّيين : مكان في أعلى درجات الجنة .

يشهده المقرّبون: يشهد هذا الكتاب المقرّبون من ملائكة الله .

الأرائك: جمع أريكة وهي السرير الذي عليه ستار.

نضرة النعيم : رونق النعيم وحسنه.

رحيق : الشراب الخالص الذي لا غش فيه.

ختامه مسك : خاتمة شربه مسك.

ومزاجُهُ : ما يمزج به ذلك الشراب .

تسنيم : عين في الجنة رفيعة القدر .

ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ
﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

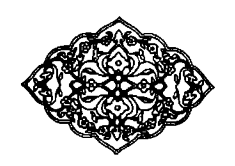
شرح المفردات

فكهين : ملتذين .

حافظين : حارسين ومراقبين.

اليوم : أي يوم القيامة.

هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون : أي جوزي الكفار وعوقبوا على ما فعلوه في الدنيا.



سُورَة المُطفّفِين

ايضــاح و دروس

أبرز أهداف هذه السورة محاربة الغش في المكاييل والأوزان، وبيـان أن هناك حياة بعد الموت يحاسب فيها الناس على أعمالهم، حيث يُجازى الأبرار بجنات النعيم والفجار بنار جهنم.

وقد روي أنه لمـا قدم النبي ﷺ المـدينة كـان أهلها من أسـوأ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ والآيات التاليـة، فأحسـنـوا الكيل بعد ذلك.

فالله سبحانه ينذر المتلاعبين بالمكاييل والأوزان بقوله:

﴿وَيْـلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّـذِينَ إِذَا اكْتَالُـوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَـوْفُـونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

التطفيف: الإنقاص في الكيـل أو الوزن والله ينـذر من يقترف ذلـك بالهلاك والعذاب. فهؤلاء المطففون إذا كانـوا مشترين يـأخذون الكيـل من الناس وافياً كاملاً لأنفسهم. لكنهم إذا كانوا بائعين فكالوا للناس أو وزنوا لهم أنقصوا الكيل والميزان.

فالتطفيف في الكيل والوزن هو إثم كبير في نظر الإسلام فما ظنك بإثم من ينهب ويسلب ويختلس، ويأكل أموال الناس بالباطـل عن طريق الحيلة والخداع والقهر والابتزاز، إن إثم ذلك يندرج تحت الوعيد بالعذاب الشديد الذي أنذر الله به المطففين يوم القيامة.

هؤلاء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل يقول الله فيهم:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فهنا استفهام وتعجب من موقف المطففين الذين يتصرفون على هذا النحو الخاطىء متوهمين أن لا أحد سيحاسبهم، ولا قدرة قاهرة ستطالهم، لأنهم لا يعتقدون بالبعث والحساب ولكن ألا يخطر ببال هؤلاء المطففين بأنهم سيبعثون ليوم عظيم الهول وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لأمر رب العالمين وقضائه فيحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة ومنها تطفيف الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل.

ثم يتابع اللّه قوله: ﴿كَلَّا، إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾.

كلا: أي ليرتدع هؤلاء المطففون عن إنكار البعث وعن أعمالهم السيئة. ثم يصفهم القرآن: بالفجار: أي القائمين بالكفر والمعاصي. والكتاب الذي فيه سجلّ أعمالهم هو في «سجّين»[1] أي في حبس في الأرض السفلى، لخساسة منزلتهم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ تهويل لأمره وأنه لا يبلغ درايته أحد ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي مكتوب فيه أعمالهم، أو معلم بعلامة يعلم من رآه أنه لا خير فيه.

ثم ينذر اللّه هؤلاء المكذبين بيوم الجزاء بقوله:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّين. وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

فاللّه ينذر بالعذاب الذين لا يصدقون بيوم الحساب والجزاء، وما يكذب بذلك اليوم إلاّ كل متجاوز الحد في الكفر والضلال، مبالغ في

---

(١) سجّين: على وزن فِعِّيل صيغة مبالغة من السجن.

ارتكاب الإثم والمعاصي ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ إذا قرئت عليه آيات القرآن زعم أنها ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره الأولون من الأحاديث الملفقة التي لا أساس لها من الصحة.

ثم يبين الله سرّ إعراضهم عن الهدى:

﴿كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

كلا: أي ليرتدع هؤلاء الآثمون عن قولهم إن القرآن أساطير الأولين ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ بل غطى على مداركهم وقلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ما كانوا يقترفونه من الذنوب والآثام حتى صار كالصدأ على قلوبهم. فالقلب الذي يعتاد على المعصية والإثم يغطيه حجاب كثيف يحجب عنه نور الله، ويفقده الإحساس بقِيَمِ الحق والخير والرحمة والانصياع لها، ولهذا يقول النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء[1] في قلبه، فإن تاب ونزع[2] واستغفر صُقِلَ قلبه، فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في كتابه»[3]: ﴿كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ثم يبين الله مصير الفجار في الآخرة:

﴿كَلَّا، إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا الَّذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

كلا: أي ليرتدع هؤلاء عن أعمالهم السيئة، فهم يحجبون عن النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة، ويحرمون من هذه السعادة التي لا تتاح إلاّ

(١) نكتة سوداء: أي ترك الذنب أثراً أسود على القلب.
(٢) نزع: كف عن الذنب.
(٣) هذا الحديث رواه ابن ماجة والإمام أحمد.

لمن صفت أرواحهم، وطهرت نفوسهم، واستحقوا أن تكشف الحجب بينها وبين ربها، هؤلاء المتقون الذين قال الله فيهم في القرآن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٢.

والحجاب الذي يحجبهم عن ربهم هو في حدّ ذاته عذاب لهم وحرمان يفوق كل حرمان، وفوق ذلك فإن نهايتهم بائسة تعيسة: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي لداخلو النار ليعذبوا بها، ثم يُقال لهم توبيخاً وتقريعاً من الملائكة الموكلة بعذابهم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

وبجانب عذاب هؤلاء الفجار يبين الله مصير الأبرار في الآخرة:

﴿كَلَّا، إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

كلا: أي ليرتدع الذين يكذبون بيوم الجزاء، وليعلموا أن الأبرار: وهم الطائعون لله، الفاعلون كل خير، هؤلاء أعمالهم مدونة في كتاب، وهذا الكتاب في «عِلِّيين» أي عند الله في السماء. وهذا اللفظ «عليين» يوحي بالسعادة والعلو وارتفاع المرتبة كما يوحي لفظ «سِجِّين» بالضيق والظلمة. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ فهو أمر فوق علم البشر وإدراكهم، إنه ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي مكتوب فيه الأمان للأبرار من النار يوم القيامة والفوز لهم بالجنة ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي يشهد على ما فيه من أعمال المقربين من ملائكة الله ويحفظونه.

ثم يبين الله ما يتمتع به الأبرار من نعيم في الآخرة:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ

الْمتَنَافِسُونَ. وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْناً يَشْرَبُ بِها الْمُقَرَّبُونَ﴾.

فالأبرار في نعيم دائم يفوق كل نعيم عرفه الإنسان على هذه الأرض، فهم جالسون على أفخم الأسرّة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة والنعيم، كما يبدو أثر النعيم وبهجته وحسنه على وجوههم، ويشربون من خمر الجنة التي لا تسكر من أوان مقفلة لا تفتح إلاّ عند الرغبة في الشراب، وخاتمة شربهم مسك أي أن ذلك الشراب يعبق برائحة المسك ﴿وَفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أصل التنافس التغالب للحصول على الشيء النفيس الذي يريده كل أحد لنفسه. والمعنى المراد من الآية بأن التنافس يجب أن يكون في طلب نعيم الآخرة الدائم لا التنافس على شهوات الدنيا الزائلة، فالتنافس على أمور الآخرة التي قوامها الإيمان بالله والعمل الصالح، يصلح الأرض ويعمرها، أما التنافس على أمور الدنيا وشهواتها الفانية فيجر إلى التنازع والخراب.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي يُمزج ذلك الرحيق ـ أي خمر الجنة ـ من عين عالية رفيعة هي أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه تسمى «التسنيم». والتسنيم في اللغة يأتي بمعنى العلو والارتفاع ﴿عَيْناً[1] يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي هي عين في الجنة يشرب منها المقربون الذين نالوا حظوة عند الله.

ثم يبين الله ما كان يلقاه هؤلاء الأبرار من أذى المجرمين في الدنيا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالوا إِنَّ هؤُلَاءِ

---

(١) ذكر المفسرون أن هذه العين يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين.

لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾.

فالمجرمون كانوا يتخذون المؤمنين أداة لسخريتهم، وعندما يمرون بهم يغمز بعضهم بعضاً بما ينم عن سوء أدبهم، وإذا رجعوا إلى أهلهم بعدما فعلوه ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ رجعوا مسرورين مبتهجين بما فعلوه استخفافاً بأهل الإيمان. وفي كل مرة يرون المؤمنين يشيرون إليهم ويصرون على وصفهم بالضلال. ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي وما أرسل الكفار رقباء على غيرهم يحفظون أعمالهم ويشهدون بصلاحهم أو ضلالهم. وهذا تهكم وسخرية بالكفار.

ثم يختم اللّه هذه السورة بدعوة المؤمنين إلى الصبر على أذى الكفار لأن في يوم القيامة يحصل عكس ما جرى في الدنيا:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانوا يَفْعَلُونَ﴾.

عزاء وبلسم يقدمه القرآن للمؤمنين المستضعفين المضطهدين،فالنهاية التعيسة تنتظر الكفار يوم القيامة بينما المؤمنون يرفلون في النعيم وهم جالسون على الأسرّة يضحكون من الكفار كما كان هؤلاء يضحكون منهم في الدنيا ولكن شتان ما بين الدنيا الفانية والآخرة الخالدة.

ولا بد من وقفة قصيرة أمام قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هذا الاستفهام توبيخي وتقريري أي أُثيب وجوزي الكفار ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من السخرية بهم، ولكن أي ثواب؟ إنه نار الجحيم، وسُمي بالثواب للتهكم والاستهزاء بهم، لأن الثواب يكون جزاءً للطاعة، وشبيه بذلك ما جاء في القرآن: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والبشرى تكون للخبر السار لا للعذاب.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾
وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ
إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ
مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ
ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ

شرح المفردات

إذا السماء انشقت : تصدعت وتقطعت واختل نظامها .
أذنت لربها : أي استمعت له واطاعت في أمره إياها بالانشقاق.
وحقَّت : وحق لها أن تسمع أمره وتطيعه ، وكان انقيادها أمراً لازماً .
الأرض مُدَّت : بسطت وجعلت مستوية بأن أُزيلت جبالها .
وألقت ما فيها وتخلّت : القت الأرض ما في بطنها من الموتى وتخلت عنهم
كادحٌ : الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه .
يدعو ثبوراً : يطلب الهلاك بقوله : واثبوراه .
يصلى سعيراً : يدخل النار ويقاسي حرّها ، والسعير من أسماء النار .

ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

شرح المفردات

لن يحور : لن يرجع حيًّا يوم القيامة للحساب وملاقاة ربه .

بصيرا : عالماً .

الشفق : الحمرة التي تظهر في الأفق بعد غروب الشمس .

الليل وما وسق : جمع وضم المخلوقات تحت ظلمته .

والقمر إذا اتسق : تم واكتمل بدراً .

لتركَبُنَّ طبَقاً عن طبق : أي ستقاسون حالاً بعد حال من شدائد يوم القيامة .

يسجدون : يخضعون .

يوعون : تضمره أنفسهم من التكذيب .

غير ممنون : غير منقوص ولا مقطوع ، وقيل : لا يمن عليهم به .

سُورَة الإنشِقاق

ايضَــاح و دروس

هذه السورة تذكر بعض علامات القيامة مبينة أن مصير الإنسان إلى ربه حيث يجازيه بما عمل من خير أو شر.

مطلع هذه السورة يبدأ بعرض مشاهد الانقلاب الكوني يوم القيامة من استلام السماء والأرض وانقيادهما لأمر الله دون تذمر أو اعتراض ويؤكد هذا الأمر بقوله: ﴿وَحُقَّت﴾ أي وكان حقاً ثابتاً أن تنقادا لأمر الله وتطيعاه فهو خالقهما وهما جميعاً في قبضته، هذا المطلع يبعث في النفس الخشوع والاستلام لله سبحانه انعكاساً من استلام السماء والأرض لخالقهما، يقول تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقَّت. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وإِذَا الأَرضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيها وَتَخلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ﴾.

فالله سبحانه يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أي تصدعت وتقطعت ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ واستمعت لربها وأطاعت فيما أمرها به من الانشقاق، وكان حقاً ثابتاً أن تطيعه ﴿وَإِذَا[1] الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي بُسِطَتْ فزيد في سعتها ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيها وَتَخَلَّتْ﴾ وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء وتخلت منهم إلى الله ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي واستمعت الأرض إلى أمر ربها في إلقائها ما في بطنها على ظهر الأرض

---

(١) جواب إذا الشرطية محذوف ترك لمعرفة المخاطبين به معناه، والمعنى: إذا السماء انشقت، وإذا الأرض مدت رأى الإنسان ما قدم من خير أو شر.

وكان حقاً لها أن تسمع أمره وتطيعه.

يصور القرآن في ذلك عظمة القدرة الإلَهية الخارقة التي تتصرف في الكون ليعي الإنسان حقيقة وجوده على هذه الأرض، وأن مصيره هو ملاقاة ربه:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾.

والمعنى: يا أيها الإنسان إنك ساع إلى ربك سعياً وعامل عملاً في دنياك سوف تلقى به الله خيراً كان أو شراً، فليكن عملك مما يجلب لك رضاه، ولا يكن عملك مما يجلب سخطه عليك فتهلك.

ثم يعطينا القرآن صورة مفرحة عن الذين أطاعوا ربهم وحازوا رضاه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً. وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.

فالله تعالى يقول: فأما من أُعطِيَ كتاب أعماله بيده اليمنى وهذا دليل البشارة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ والمراد بالحساب اليسير هو العَرْض[1]، أي تُعرض على المؤمن أعماله يوم القيامة فيُغفر له سيئها ويجازى على حسنها ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ أي ويرجع إلى أهله في الجنة مبتهجاً مسروراً بما أعطاه الله من الفضل والكرامة.

وأمام هذه الصورة الكريمة نجد صورة أخرى للذين استحقوا عذاب

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من نوقش الحساب عُذِّب، قالت فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العَرْضُ من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب «رواه البخاري ومسلم».

الله بسبب ما اقترفوه من سيئات :

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً. وَيَصْلَى سَعِيراً﴾.

أي وأما من أعطي منكم أيها الناس كتاب أعماله بشماله وراء ظهره تحقيراً لأمره وخزياً له ﴿فسوفَ يَدْعُو ثُبوراً﴾ فسوف يستغيث طالباً الهلاك وهو يقول: واثبوراه[1] ﴿وَيَصْلَى سَعيراً﴾ أي يدخل ناراً مستعرة يقاسي حرها وعذابها.

ثم يتابع القرآن وصف هذا الشقي بالعودة إلى ذكر ماضيه في دنياه، موضحاً السبب الحقيقي الذي أوصله إلى هذه الخاتمة التعية: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً. إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ. بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾.

لقد كان متنعماً في الدنيا، مسروراً بين أهله، راضياً بما عليه من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّه ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي إنه تيقن أنه لن يرجع إلى ربه، ولن يبعث بعد مماته للحساب، فلم يكن يبالي بما ارتكب من المآثم لأنه لم يكن يرجو ثواباً، ولم يكن يخشى عقاباً ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما يظن، بل سيرجع إلى ربه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ أي إن الله بصير بما كان يعمل من المعاصي عالم بذلك.

ثم ينتقل القرآن إلى توجيه الأنظار إلى بعض ملامح القدرة الإلّهية للعبرة والعظة.

---

(١) الثبور: الهلاك، ودعوة الثبور ما ينادي به المحرج الواقع في شدة يرى أن هلاكه أهون عليه من الاستمرار فيها وذلك بقوله: واثبوراه.

﴿فلا[1] أُقسِمُ بالشَّفَقِ. واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ. والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.

فالغاية من القسم بهذه الأمور بيان عظمة الخالق وقدرته المتصرفة في الكون.

فالشفق هو حمرة الأفق التي تظهر بعد غروب الشمس فهذا الاحمرار الموحي بانتهاء النهار، وإقبال الليل يدعو النفس إلى التعمق في آيات الطبيعة الباهرة، وأن وراء ذلك اليد الإلٓهية التي أبدعتها.

والفضاء الذي تسبح فيه الأرض وسائر الأجرام مظلم بطبيعته فهو ﴿واللَّيْل وَمَا وَسَقَ﴾ فاللّه أقسم بالليل وما جمع وضم في ظلمته من أجرام وأنواع المخلوقات التي تسكن فيه وتهدأ، فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات. ثم يقسم سبحانه بالقمر: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي استوى واكتمل بدراً وهذا يبعث في النفس ارتياحاً في النظر والقلب، ويوحي بعظمة الخالق سبحانه.

ثم يأتي جواب القسم: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ أي ستعانون حالاً بعد حال من الشدة وهو الموت وما بعده من أهوال يوم القيامة، وقيل هذه المعاناة هي في الدنيا: أي رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وصحة بعد سقم، وسقم بعد صحة.

أمام هذه الآيات الكونية التي تشهد بوجود اللّه ووحدانيته وأمام آيات القرآن التي تتلى عليهم، يتابع اللّه قوله:

---

(١) إدخال «لا» النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم وتعظيم المقسم به أي لا أعظمه بإقسامي به فإنه حقيق بأكثر من ذلك.

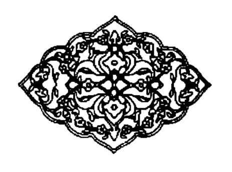
﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ. وَاللَّه أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

استفهام فيه توبيخ، أي فَلِمَ لا يصدق الكافرون بوجود الله ووحدانيته!! ولِمَ لا يقرون بالبعث بعد الموت!! ولِمَ لا يخضعون ويستكينون عند قراءة القرآن وفيه الدلائل الباهرة على كونه وحياً إلَهيّاً ﴿بَل الّذين كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بل إنهم يكذبون بأن محمداً رسول الله، ويكذبون بأن القرآن كتاب الله عناداً واستكباراً ﴿وَاللَّه أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ والله أعلم بما تضمره وتكنه صدورهم من التكذيب.

ويختم الله هذه السورة مبيّناً مصير الكفار والمؤمنين.

﴿فبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أليم. إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَهُم أجْرٌ غَيْرُ مَمْنون﴾.

أي فبشر يا محمد هؤلاء الكافرين بعذاب أليم، والبشرى تكون للنعيم لا للعذاب، فالبشرى هنا نوع من السخرية والاستهزاء بالكافرين، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر ﴿غَيْرُ مَمْنُون﴾ أي غير منقوص ولا ممنون به عليهم.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ

شرح المفردات

والسماء ذات البروج : قسم بالسماء ذات البروج . والبروج هي نجوم السماء التي تتوزع في مجموعات متقاربة كما تتوزع المدن فوق أرضنا .

اليوم الموعود : يوم القيامة .

شاهد ومشهود : أي من يشهد يوم القيامة من الخلائق ، وما يشاهد فيه من الأهوال .

قُتِلَ : لُعِنَ واللعن هو الطرد من رحمة الله .

أصحاب الأخدود : الأخدود هو الشق العظيم المستطيل في الأرض ، وأصحاب الأخدود قوم كافرون نقموا على المؤمنين في زمانهم فنكلوا بهم وذلك بأن حفروا لهم أخدوداً وأشعلوا النار فيه وألقوا فيه المؤمنين .

النار ذات الوقود : شديدة الحرارة مرتفعة اللهب من كثرة الوقود .

إذ هُمْ عليها قعود : قعدوا حولها .

شهود : حضور .

نقموا : كرهوا وأنكروا .

يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

شرح المفردات

العزيز : القوي الذي لا يُغلب .

الحميد : الذي يستحق الحمد والثناء .

فتنوا المؤمنين : عذبوا المؤمنين واضطهدوهم بسبب إيمانهم .

بطش : البطش هو الأخذ بقوة وعنف .

الغفور : ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه .

الودود : بالغ المحبة للمطيعين له .

ذو العرش : ذو الملك والسلطان .

المجيد : الرفيع القدر المتناهي في الجود والكرم .

الجنود : يقال للعسكر جند ، والجند في قول آخر : المجتمع .

والله من ورائهم محيط : والله عالم فهو يجازيهم على أعمالهم .

قرآن مجيد : قرآن متناه في الشرف والكرم والبركة

في لوح محفوظ : مكتوب في لوح محفوظ من التغيير والتبديل .

سُورَةُ البُروج

ايضــاح و دروس

لم تشهد الإنسانية في تاريخها القديم والحديث أبشع ولا أعنف من المآسي التي سببها الاضطهاد الديني الذي هو وليد التعصب الحاقد الأعمى.

والقرآن يقص علينا شيئاً من أخبار الاضطهاد الديني الذي وقع قبل الإسلام وذلك في قصة (أصحاب الأخدود) وقد صوّر القرآن فيها ما تعرّض له المؤمنون السابقون من تنكيل وتعذيب بسبب إيمانهم بالله. وتتلخص هذه القصة كما رواها الطبري وغيره من المؤرخين[١] ان الملك (ذا نواس) ملك حِمْيَر وكان على دين اليهود لما بلغه إيمان أهل نجران بالنصرانية وبما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام ساءه ذلك وسار إليهم بجند من حمير وقبائل اليمن فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية وخيَّرهم بين القتل أو الدخول فيها، فاختاروا القتل، فحفر لهم الأخدود وحرق بعضهم بالنار وقتل البعض الآخر بالسيف، ومثّل بهم كل مثلة حتى قتل منهم ما يقارب العشرين ألفاً.

وفي صحيح مسلم قصة مماثلة خلاصتها أن ملكاً كافراً آمن قومه بالله فحفر لهم أخاديد، وأُضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإن أصر على إيمانه فألقوه في النيران، وقد أُحرق بذلك الكثير من المؤمنين.

ومن أخبار الاضطهاد الديني في بدء الدعوة الإسلامية ما أصاب الذين اعتنقوا الإسلام من تنكيل وتعذيب، منهم: بلال بن رباح وكان مملوكاً لرجل

---

(١) دون المؤرخون النصارى هذا الحادث في عدد من المؤلفات في القرن السادس للميلاد، ولزيادة الإيضاح راجع كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٣ للدكتور جواد علي.

يدعى (أمية بن خلف) فكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في صحراء مكة ثم يأمر بحجر كبير فيوضع عليه ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد (اللات والعزى) وهما صنمان، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد، أحد (أي الله واحد).

وممّن عُذّب بسبب إيمانه: عمّار بن ياسر وأبوه وأمه فكان بنو مخزوم يخرجونهم وقت الظهيرة ويطرحونهم على الرمال الشديدة الحرارة، وقد ماتت الأم تحت العذاب.

كما قد تعرّض الكثير غيرهم من المؤمنين إلى الضرب والتجويع والعطش حتى لا يستطيع الواحد منهم أن يستوي جالساً من شدة الضرّ الذي نزل به.

في هذا الجو المحموم نزلت (سورة البروج) تواسي المؤمنين وتخفف وقع الأذى عليهم، وتثبت قلوبهم على الإيمان وتدعوهم إلى الصمود في وجه الاضطهاد، وتنذر الكفار الذين يضطهدونهم بالعذاب في الآخرة.

يستهل الله هذه السورة بالقسم بالسماء وما فيها من مجموعات نجمية[1] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ [2]﴾ ليلفت الأنظار إلى ما فيها من الروعة

---

(١) أُولع قدماء المصريين والصينيين والعرب برصد مجموعات النجوم وتصوروها على هيئة حيوانات أو حشرات أو غير ذلك وقسموها إلى اثني عشر قسماً تمر خلالها الأرض والكواكب في أثناء دورتها حول الشمس وأسماء هذه البروج: الحمل ـ الثور ـ الجوزاء ـ السرطان ـ الأسد ـ العذراء (أو السنبلة) ـ الميزان ـ العقرب ـ القوس ـ الجدي ـ الدلو ـ الحوت.

(٢) قيل في تفسير (والسماء ذات البروج) أي النجوم، وقيل ذات الخلْق الحسن، وقيل ذات المنازل وهي اثنا عشر برجاً وهي منازل الكواكب والشمس والقمر. والبروج في كلام العرب القصور.

التي تدل على عظمة خالقها وقدرته اللامتناهية، فالقادر على خلق هذه النجوم قادر على دحر المعتدين والانتقام منهم.

كما أقسم سبحانه بيوم القيامة: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ حيث يحاسب الناس على أعمالهم، وسُمي بالموعود لأن اللّٰه وعد بأن هذا اليوم آتٍ لا ريب فيه.

كما أَقسم سبحانه بما يشهد يوم القيامة من الخلق وما يحصل فيه من الشدائد والأهوال: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ وقيل إن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. وقيل: الشاهد هو محمد ﷺ يوم يشهد على أمته يوم القيامة.

أقسم اللّٰه بذلك كله مؤكداً إنزال اللعن على أصحاب الأُخدود، وهم قوم كافرون حفروا في الأرض أخدوداً (أي حفرة مستطيلة) وأضرموا في هذا الأخدود النار ثم ألقوا فيه المؤمنين الذين أبوا أن يرجعوا عن دينهم، وقعدوا حول النار يتفرجون على المؤمنين وهم يقاسون العذاب وفي هذا يقول سبحانه: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

فاللّٰه سبحانه استنكر هذا الاضطهاد الذي وقع على المؤمنين وقال عن مرتكبيه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي لعنوا أشد اللعن. واللعن هو الطرد من رحمة اللّٰه طرداً مؤبداً كما وقع لإبليس. وهذا اللعن يسري على كل من يضطهد ويعذب مؤمناً بسبب إيمانه.

ولقد بيَّن اللّٰه سبب اضطهاد المؤمنين السابقين:

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

فهؤلاء الذين اضطُهِدُوا لم يكن لهم ذنب سوى أنهم آمنوا باللَّه ﴿العَزيز﴾ أي القوي الغالب كل شيء ﴿الحَميد﴾ الذي يُحمد على إحسانه لخلقه ﴿الذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ﴾ فلا مفرّ لهؤلاء الظالمين من سلطانه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾ فهو شاهد على أعمال خلقه فلا تخفى عليه خافية من أعمالهم التي سيجازون عليها.

وإن لفظ ﴿شهيد﴾ في الآية فيه تطمين للمؤمنين المعذبين المضطهدين، فعندما يدركون أن اللَّه يشهد عذابهم ينسون كل عذاب، ويهون في نظرهم كل تنكيل لأن اللَّه سيثيبهم على كل ذلك، كما أن في ذلك وعيداً لمن يعذبهم، وبما ينتظرهم من العقاب الإلٰهي.

وبعد أن أثرت في نفوسنا هذه الأيات إشفاقاً على المؤمنين المعذبين وإكباراً لموقفهم حيث ضحوا بأرواحهم في سبيل اللَّه، كما أثرت في نفوسنا وملأت قلوبنا سخطاً على هؤلاء الظالمين، تعود الآيات لتوضح أن الحادث لم ينتهِ إلى هنا وحسب، بل هناك في الآخرة الحساب العادل ينتظر كل فريق:

﴿إِنَّ الذينَ فَتَنُوا المؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبوا فَلَهُم عَذَابُ جَهَنَّم وَلَهُم عَذَابُ الحَريق﴾.

أي إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار ليفتنوهم عن دينهم ثم لم يتوبوا عن كفرهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم ولهم عذاب

الحريق فيها.

ثم يبين الله ثواب المؤمنين الذين عُذبوا في سبيل الله:

﴿إنَّ الذينَ آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ذَلِك الفوزُ الكَبِيرُ﴾.

أي فالذين أقروا بتوحيد الله وعملوا بطاعته وائتمروا بأمره لهم في في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم.

وبعد أن استقرت الآيات على هذا المعنى المجمل تعود لتشفي قلوب المؤمنين وتنذر الكافرين الطغاة: ﴿إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. إنَّهُ هُوَ يُبدِىءُ وَيُعيدُ. وَهُوَ الغَفُورُ الْوَدُودُ. ذُو العَرْشِ الْمَجِيدُ. فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

والبطش: الأخذ بعنف، وحيث وُصف بطش الله بالشدة فقد تضاعف البطش وتفاقم، وهو بطشه بالجبابرة والظالمين، وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام الشديد. فهو سبحانه ﴿يُبْدِىءُ وَيعيدُ﴾ أي يحدث خلقه ابتداءً ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم يوم القيامة للحساب. وهو سبحانه: ﴿الْوَدُود﴾ أي المحب لمن أطاعه، وإذا حظي الإنسان بمحبة الله نال أعلى مراتب السعادة، وهو سبحانه ﴿ذو العَرْشِ﴾ أي ذو الملك والسلطان لا ينازعه فيه أحد. وهو ﴿المجيد﴾ أي ذو السعة في الكرم والجلال، وهو أيضاً ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ فهو مطلق الإرادة يختار ما يشاء ويفعل ما يريد في الأرض، فما أصاب المؤمنين من اضطهاد إن هو إلاّ اختبار لإيمانهم ولو أراد نصرتهم ما وقف شيء أمام قدرته وقد جاء في القرآن: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُم وَالصَّابِرِينَ﴾ يونس: ٣٠.

وبعد ذلك يذكر الله العاقبة السيئة التي تنتظر الكفار والطغاة في الدنيا

مشيراً إلى قوم فرعون الذين أهلكهم الله بالغرق، وإلى قوم ثمود الذين عاقبهم الله بصاعقة أهلكتهم: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الطاغية في الأمم السابقة الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء وهم فرعون وآله، وقبيلة ثمود وما حل بهم من هلاك بسبب طغيانهم وكفرهم.

ثم يختم الله هذه السورة بالحديث عن كفار مكة الذين كَذَّبوا بنبوة محمد ﷺ:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ. وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِم مُحِيطٌ. بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

أي لم يعتبر كفار مكة بما حل بالكفرة من الأمم السابقة بل هم مستمرون في التكذيب، والله محيط بهم، أي هم في قبضته وحوزته كالمحاط إذا أُحيط به فلا يجد مهرباً، ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي كثير الفوائد الدنيوية والأخروية، عالي الطبقة بين الكتب في النظم والمعنى ﴿في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ أي مثبت عند الله في اللوح المحفوظ الذي في السماء، واللوح المحفوظ هو مستودع لما كان ويكون مما يعلمه الله وَقَدَّر أن يعمله، وحقيقته فوق مستوى البشر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾
إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

شرح المفردات

والسماء والطارق : الواو واو القسم ، الطارق هو الآتي ليلاً والمراد بذلك النجوم لظهورها في الليل .

النَّجْمُ الثَّاقِب : المراد النجوم كلها ، والثاقب هو المضيء فالنجوم تثقب الظلام بنورها .

إنْ كُلّ نفس لما عليها حافظ : ما كل نفس إلاّ وعليها حافظ من الملائكة .

ماءٍ دافق : الماء هو منيّ الإنسان ، والدفق هو الصب فهو يصب في الرحم .

الصلب : سلسلة الظهر .

الترائب : عظام الصدر .

رجعه : ردّ الحياة إليه بعد مماته يوم القيامة .

تُبلى : تمتحن وتختبر .

السرائر : جمع سريرة وهي ما أُسِرّ في القلوب من النيات وما أُخفي من الأعمال .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

شرح المفردات

الرجع : المطر ، وسمي رجعاً لأنه يتكرر ويرجع إلى الأرض بعد أن يخرج منها بخاراً .

والأرض ذات الصدع : اقسم الله بالأرض وما تتشقق عنه من النبات .

قولٌ فصل : قول يفصل بين الحق والباطل .

وما هو بالهزل : أي ليس باللعب والباطل بل كله جد محض .

يكيدون : الكيد هو المكر والاحتيال .

وأكيدُ كيداً : أبطل كيدهم فلا أمكنهم من إطفاء نور الإسلام .

فمهّل الكافرين : المهل هو التأخير ، أي انتظر يا محمد ولا تسأل الله تعجيل هلاكهم .

رويداً : قليلاً .

سُورةُ الطّارق

ايضـــاح و دروس

هـذه الـسـورة تلفت الأنـظار إلى بعض مـظاهـر القـدرة الإلهيـة التي لا يصعب عليها إعادة الإنـسـان حيًّا بعد الممات يوم القيامـة لمحاسبتـه على أعماله، كما تنذر المناوئين للدعوة الإسلامية بسـوء المصير.

يـستهل اللّه هذه الـسورة بالقسم بالـسماء والنجوم:

﴿والـسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.

والقسم بالشيء دليل على عظمته وأهميتـه وأنه آيـة من آيات القـدرة الإلٰهية.

والنجم: إسم جنس لسـائر النجـوم وسميت بـالـطارق لأن طلوعهـا بالليل، وكل من أتاك ليلاً فهو طارق، وسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب ثم اتسع المعنى في كل ما ظهر بالليل. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ تفخيم لشـأن المقسم به وتنبيـه على عظمـة خلقه[1] بحيث لا ينـالـه إدراك الخلق ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ والثاقب المضيء والمتـوهج الـذي يثقب الـظلام بنوره.

---

(١) إن عـظمة خلق النجـوم لم تظهـر إلاّ بعد قـرون من نـزول القـرآن حين تـوصـل الإنـسـان إلى صنع «التلـسكـوب» ففي عام ١٦٠٩ صنـع غاليلو مـرقبه الأول ومنـذ ذلك الحين بدأ العلماء يصنعون مراقب أكبر فأكبر حتى تـوصلوا إلى كشف الكثير من عوالم السماء التي كانت مجهولة عند البشر. فمثلاً مجـرتنا التي يطلق عليها درب التبانة قدر العلماء عـددها بـواسطة المـراقب بين ٤٠,٠٠٠ مليون نجم إلى ١٠٠,٠٠٠ مليون نجم وعدد المجرات في الكون قدر العلماء عـددها بمـا يزيـد على ١٠٠ مليون مجرة. والقرآن أول من أشار إلى عظمة خلق النجوم.

وجواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ إن: بمعنى ما النافية، ولما: بمعنى إلاّ. أي ما كل نفس إلاّ عليها حفظة من الملائكة يحفظون عملها، ويحصون عليها ما تكسب من خير أو شر.

والجدير بالذكر أن اللّه اختار صفة ﴿الثاقب﴾ للنجم الذي يثقب الظلام ليكون متجانساً مع ﴿الحافظ﴾ الذي وكله اللّه برقابة الإنسان لينفذ إلى قلبه وضميره كما ينفذ نور النجم في الظلام.

فاللّه سبحانه لم يخلق الإنسان على هذه الأرض عبثاً، ولم يتركه مهملاً بعيداً عن رقابته، فأعماله محصية، وحركاته مسجلة محفوظة فكل الأعمال التي يعملها حتى في الخفاء بعيداً عن الأعين هي في متناول ﴿الحافظ﴾ من الملائكة الذي يحفظ ويحصي ويسجل أعمال الإنسان كما قال سبحانه في موضع آخر من القرآن ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨.

وقد يراد بالحافظ الرعاية والعناية فاللّه قد وكل بالإنسان ملائكة تحفظه من الأشياء التي تفوق قدرته والآفات التي يتعرض لها، وقد أشار القرآن إلى ذلك أيضاً: ﴿لَهُ معَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ﴾ الرعد: ١١. والمعقبات هم الملائكة.

وبعد أن قَرَّر اللّه أن الإنسان محصيةٌ عليه أعماله ليحاسب عليها يوم القيامة، أراد سبحانه أن يذكّرَ الذين يُراودهم الشك بيوم البعث ويستبعدون رجوعهم أحياء في الآخرة، أرادَ أنْ يذكّرهم بمبدأ خلقهم وأساس نشأتهم بقوله:

﴿فَلْيَنْظُر الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ. إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

أي فليفكر الإنسان من أي شيء خُلِق، إنه ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ والماء الدافق هو منيّ الرجل[١] ومعنى الدافق: أي ذو انصباب ودفع.

وهذا الماء الدافق ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ والصلب فقار الظهر، والترائب عظام الصدر، فهذا الماء الدافق يخرج من صلب الرجل وترائبه.

فمنيّ الرجل يحتوي على ملايين الحيّيات المنوية، وبالتقاء واحد من هذه الحيّيات مع بويضة الأنثى تنشأ الخلية الملقحة التي يتكون منها الإنسان.

فالقدرة الإلّهية التي خلقت الإنسان ابتداءً على هذا الشكل لا يعجزها إعادته حيّاً يوم القيامة للحساب، وهذا ما ذكرته الآية التالية: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي أن الله قادرٌ على رد الإنسان حياً كهيئته قبل مماته.

ويوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي تختبر وتمتحن ما أُسر في القلوب من النيات والعقائد، وما أُخفي من الأعمال. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ والإنسان يومذاك لا قوة تدافع عنه، ولا ناصر ينصره.

ولعل خاطراً من الشك يمكن أن يراود بعض النفوس في صحة ما جاء به القرآن بصدد البعث، فهنا يعيد الله القسم ولكن بالسماء ذات السحاب الذي فيه المطر وأرزاق العباد ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أي ذات المطر،

---

(١) قيل المراد بالماء الدافق مني الرجل والمرأة لأن عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد، ولما كان أحد قسمي المني دافقاً وهو منيّ الرجل أطلق هذا الإسم على المجموع تغليباً، ويكون معنى: (يخرج من بين الصلب والترائب) أي يخرج من صلب الرجل وترائبه، ومن صلب المرأة وترائبها.

وسمي المطر رجعاً لأنه يرجع إلى الأرض بعد تبخره منها[1]. كما يقسم سبحانه بالأرض التي تتشقق ويطلع منها النبات والشجر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي ذات التشقق. فتشقق الأرض بالنبات يماثله إحياء الموتى يوم القيامة للحساب.

ثم يأتي جواب القسم: ﴿إِنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أي إن القرآن هو قول فاصل بين الحق والباطل، وما هو باللعب ولابالباطل بل هو جدٌّ كله.

ثم يتحدث القرآن عن الكافرين الذين يناوئون الدعوة الإسلامية بقوله: ﴿إنّهم يَكيدونَ كَيْداً. وَأَكيدُ كيداً﴾ فالكيد هو المكر أي السعي بالفساد في خفية والاحتيال في إيصال الشر. وحينما تجد لفظاً نسبه اللّه إلى نفسه مما لا يستسيغ فكرك أن ينسب إلى اللّه مثل: اللّه يكيد، اللّه يمكر، كما جاء في القرآن أيضاً: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ النمل: ٥٠. فهذا يسمونه في علم البيان: المشاكلة، لأن اللّه ليس من صفاته المكر والكيد. ومعنى المشاكلة هو الإتيان بلفظ ليس المراد به حقيقة معناه اللغوي الذي يتبادر إلى الذهن، ولكنه جيء بهذا اللفظ لوقوعه في صحبة غيره من اللفظ ذاته، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشورى: ٤٠. فأنت عندما تجازي صاحب السيئة على سيئته هل يتبادر إلى الذهن أن المجازاة هي سيئة، لا، إنها تأديب، وإنما سميت سيئة لوقوعها في صحبة السيئة الأولى، فكأن اللّه

---

(١) وليس هذا فحسب فإننا نعلم الآن أن الأمواج اللاسلكية والتلفزيونية ترتد هي الأخرى من السماء إذا أرسلت إليها. . . ولذا نستطيع أن نلتقط الإذاعات من محطات الأرض بعد انعكاسها ونستمع إليها ونشاهدها ولولا ذلك لضاعت وتشتت ولم نعثر عليها فالسماء هي أشبه بمرآة عاكسة ترجع ما يبث إليها.

يقول: إننا حين نعاقبك أيها المسيء على إساءتك نسيء إليك، وإننا حين نعاقبك على كيدك فإننا بذلك نكيد لك، فسمي الجزاء باسم ابتداء فعلهم وهو الكيد.

وأخيراً يخاطب اللّه رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ أي فلا تستعجل بالانتقام منهم، ولا تسأل اللّه تعجيل هلاكهم بل أَنْظِرْهُم وقتاً قليلاً إلى الموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم.

التفسيرُ العِلمي

يقول اللّه تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ ما الطَّارق. النَّجْمُ الثَّاقِب﴾.

يؤخذ من وصف النجم (بالطارق) أن النجوم متحركة لا ساكنة لأن من معاني الطارق: القادم والآتي ليلاً وهي من صفات المتحرك، والسبب في أننا نرى النجوم ساكنة مع أنها في الحقيقة متحركة هو بعدها السحيق عن الأرض.

ويصف اللّه سبحانه النجم (بالثاقب) وقد فسّره الأقدمون بأنه الذي يثقب الظلام بنوره، ولكن الدراسات في الكون تعطي للثاقب معنى آخر وهو: يثقب الغاز الكوني وإليك البيان.

الفضاء الكوني الذي تجري فيه النجوم ليس فراغاً تاماً بل ينتشر فيه الغاز الكوني (الإيدروجين) بصفة عامة بصرف النظر عن المواد الأخرى التي تتجمع هنا وهناك. وبديهي أنه عندما ينساب النجم في وسط من الغاز فإنه بفعل الجاذبية يجمع منه كميات يمكن حسابها رياضياً، وعلى ذلك فإنه كلما تحرك النجم خلال الغاز ترك خلفه «نفقاً» ضخماً من الفراغ وسط هذا الغاز، وقد يبلغ قطر النفق المحفور المتخلف خلال الغاز بهذه الطريقة أضعاف قطر النجم، إذ أن الجاذبية يمكن أن تجمع أجزاء الغاز على أبعاد كبيرة، وفي

العادة يتوقف قطر «النفق المحفور» على السرعة النسبية بين النجم والغاز، فكلما قلت السرعة النسبية هذه كان أمام النجم متسع من الوقت لترسب الغازات عليه بكميات أكبر ويتسع تبعاً لذلك قطر النفق المحفور[١].

خلق الإنسان:

يقول اللّه تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسَان مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائب﴾.

الصلب هو سلسلة عظام الظهر ويمتد من الكاهل (أي من أعلى الظهر مما يلي العنق) إلى أسفل الظهر. والترائب هي عظام الصدر.

ونتساءل هل يخرج الماء الدافق (أي المنيّ) من هذين المكانين فنجيب بأن منيّ الرجل يتكوّن في القنوات المنوية في الخصيتين، والخصيتان تتغذيان بالدم الذي يدخل في عملية تكوين المني، وهذا الدم الذي يصل إلى الخصيتين يأتي إليهما بواسطة شريانين:

أولاً: الشريان المنوي الداخلي.

ثانياً: الشريان المنوي الخارجي.

وهذان الشريانان هما فرعان من (الأبهر) وهو الشريان الأكبر الذي يبدأ من القلب من البطين الأيسر. . .

فلو تتبعنا شريان (الأبهر) في جريانه وسريانه لوجدناه يسير بين فقرات عظام الظهر وعظام الصدر أي بين الظهر والصدر، هذا الشريان الكبير هو الذي يغذي بفرعيه الخصيتين ويتكون بذلك المنيّ الذي سماه القرآن (الماء الدافق).

---

(١) القرآن والعلم للدكتور محمد جمال الدين الفندي.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ
(٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ

شرح المفردات

سبّح اسم ربك : نزه اسم ربك عن كل سوء وبرئه من كل نقص وعيب .

خلق فسوّى : خلق كل شيء فسواه وجعله في غاية الإحكام والإتقان .

قدّر فهدى : أي أعطى كل شيء ما فيه مصلحته وهداه لما فيه قوام حياته .

أخرج المرعى : أنبت النبات لترعاه الدواب .

غُثاءً : باليًا هشيمًا .

أحوى : النبات الذي أسودّ من القِدَم والعِتْق .

ونيسرك لليُسرى : نوفقك للطريق اليسرى وهي شريعة الإسلام السمحة السهلة .

فذكّر : عظ وانصح برسالة الإسلام .

سيذَّكَّرُ من يخشى : سيتعظ من يخاف الله .

يتجنّبها الأشقى : يبتعد عن شريعة الإسلام كل شقي .

النار الكبرى : نار الآخرة .

﴿فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

شرح المفردات

تزكى : تطهر من الكفر والمعاصي وسيء الأفعال .

تُؤثرون : تفضلون .

الصحف الأولى : الكتب الإلّهية المنزلة قبل القرآن .

سُورَة الأعلى

ايضاح و دروس

هذه السورة تبيّن بعض مظاهر قدرة اللّه العظيمة التي تستوجب تمجيده كما تدعو رسول اللّه أن يقوم بالموعظة الحسنة التي ينتفع بها أهل الإيمان مع بيان أن الفوز هو من نصيب من يتطهر من الذنوب والآثام .

تستهل هذه السورة بتوجيه نظر الإنسان إلى عظمة اللّه والدعوة إلى تمجيده وتنزيهه عن كل نقص وعن كل ما لا يليق به من الصفات والأفعال وهذا معنى قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾. فهو العالي على كل شيء بملكه وسلطانه .

فهو سبحانه: ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي خلق الأشياء فسوّى خلقها وعدّلها فجعل صُورَ المخلوقات على ما اقتضت حكمته معدة للمنافع المقصود منها، تأمل في أسرار خلق الإنسان مثلاً، يأخذك العجب في تركيب الجهاز الهضمي والتنفسي، ودقة أجهزة السمع والبصر والأوردة والشرايين واليدين والرِّجلين، وسائر الأجهزة التي تقوم عليها حياة الإنسان، بالإضافة

إلى العقل الذي يمتاز به عن سائر المخلوقات.

ويذكر القرآن بعض مظاهر قدرة اللّه: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ أي قدّر لكل مخلوق وظيفته على هذه الأرض، فالإنسان هداه اللّه لسبيل الخير والشر وبيّن له هذين الطريقين ليختار أحدهما والكائنات الحيّة هداها اللّه إلى طريقة معيشتها، فالعلماء المتخصصون الذين تقصّوا حياة الحيوانات والطيور والحشرات أخذهم العجب والدهشة في كيفية معيشتها والمحافظة على نوعها وبناء بيوتها وتوالدها، واحتضان بويضاتها بطريقة لا تفسّر إلاّ أنها خُصَّت بإلهام خاص، هذا الإلهام أطلق عليه القرآن إسم (الهداية) التي مصدرها اللّه.

ويتابع القرآن وصف قدرة اللّه في إنبات النبات:

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾.

فاللّه أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الكلأ، ثم ييبس هذا النبات ويتحطم ويصبح لونه مائلاً للسواد تذهب به الرياح أو السيول، وهكذا مآل الحياة الدنيا فكل شيء فيها إلى زوال.

ثم يبين القرآن بأن اللّه خص رسوله محمداً ﷺ برسالته إلى البشر بتلقين الملك جبريل له القرآن وأنه لن ينسى منه شيئاً:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى. إلاَّ مَا شَاءَ اللّه إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾.

فاللّه يقول: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه إلا ما شاء اللّه أن ينسيك إياه بنسخه، إنه يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وهذا من الأنباء الغيبية التي تحققت فعلاً، فمحمد ﷺ على الرغم من

أميته قد حفظ هذا القرآن المطوّل ولم ينسَ منه شيئاً.

ثم يخاطب الله رسوله محمداً: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي نسهّل لك يا محمد عمل الخير وهو اليُسرى، وشريعة الإسلام هي الخير كله، وهي الشريعة المؤدية إلى اليُسر، ولقد بيّن القرآن في سورة البقرة بأن الله يريد اليُسر للناس في كل ما شرعه لهم: ﴿يُرِيدُ اللَّه بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥.

ويخبر الله بأن الناس قسمان: قسم يتعظ ويستفيد مما يعرض عليه من الحق والخير فيأخذ به فيكون في ذلك نجاحه وسعادته، وقسم فسدت طبيعته فعبثاً تؤثر فيه الموعظة فهؤلاء هم الأشقياء الذين يستحقون عذاب الله الأبدي:

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى. وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى. الذي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرى. ثُمَّ لا يموتُ فيها ولا يَحْيَا﴾.

فالله سبحانه يقول: فذكر يا محمد الناس بهدي الله وعظهم وحذرهم عقوبته إن هم عصوه ﴿إن نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ إن بمعنى ما، أي فذكر ما نفعت الذكرى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي سيتعظ من يتقي الله ويخافه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ ويتباعد عن الموعظة الشقي فلا يقبلها ﴿الذي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى﴾ الذي يرد نار جهنم وهي النار الكبرى، ووصفت بذلك لشدة الحرّ فيها، ولشدة الألم الذي يقاسيه من يُعذّب بها ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾ أي لا يموت فيها الشقي فيستريح ولا يحيا فيها حياة تنفعه.

ووقفه عند قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ فهذه الآية فيها إرشاد للمجتمعات بأن يقوم فيها على الدوام من يقوم بواجب الوعظ والإرشاد

وتذكير الناس بالتعاليم الإلّهية الخيّرة لأن المجتمع فيه القابلية والاستعداد الفطري للأخذ بها، أما الإعراض عن الموعظة فهو يؤدي إلى انهيار القِيَم الأخلاقية وشيوع الفساد وطغيانه على قِيَم الحق.

ثم يبين اللّه بأن الفوز والنجاة يكونان لمن تطهر من الشرك والمآثم(١) ونمّى نفسه بالخيرات، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ويضيف اللّه إلى ذلك قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي وحّد اللّه وذكره بقلبه ولسانه وقام بالصلوات الخمس.

كما يبين اللّه بأن إيثار الحياة الدنيا هو أساس الداء لأنه يصرف الإنسان عن تلقي الموعظة والأخذ بها،وهذاتنبيه للناس حتى يعوا حقيقة دنياهم الآيلة إلى الزوال ويعملوا لآخرتهم التي هي خير من الدنيا وهي الباقية الخالدة:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

ويختم اللّه هذه السورة بقوله:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

أي إن جملة ما في هذه السورة من المعاني، أو أن المذكور من قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾ يطابق ما ورد في الصحف الأولى المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

---

(١) إن تطهير النفس من المآثم مذهب أخلاقي رفيع المنزلة يلخص كل مكتشفات علم النفس الحديثة التي تقول: «إنه لن يتسنى لنا الحصول على الشخصية الناجحة والخلق القويم عن طريق التأمل الباطني الصرف، بل عن طريق تدريب النفس أي تهذيبها وحكمها والسيطرة عليها».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا

شرح المفردات

هل أتاك : هل بمعنى قد ، والمعنى : قد جاءك ووصل إليك قصتها وخبرها .

الغاشية : هي يوم القيامة .

خاشعة : ذليلة .

عاملة ناصبة : عاملة أعمالاً شاقة في النار ، متعبة : بجر السلاسل والأغلال .

تصلى ناراً حامية : تدخل ناراً متناهية الحرارة وتقاسي حرها .

عين آنية : عين ماء متناهية في شدة الحرارة .

ضريع : نبات شوكي ترعاه الإبل ما دام رطباً فإذا يبس تحامته ويسمى الشُّبْرق.

وجوه يومئذ ناعمة : ذات بهجة وحسن أو متنعمة .

لسعيها راضية : أي راضية بما عملته في الدنيا حينما رأت ثواب الله في الآخرة .

جنة عالية : عالية المكان أو الدرجة والقدر .

لاغية : من اللغو وهو ما لا يعتد به من الكلام، أو الكلام القبيح .

عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

شرح المفردات

عين جارية : ينبوع ماء جار .

أكواب : جمع كوب ، وهو الكأس التي لا عروة لها (الكبـاية) .

موضوعة : معدّة ومهيأة للشراب .

نمـارق : جمع نمرقة وهي الوسادة وتعرف بالمخدة .

زرابيّ : جمع زُرْبية وهي البساط (السجادة) .

مبثوثة : مفروشة ومبسوطة .

وإلى الجبال كيف نُصِبَت : وضعت وضعاً ثابتاً لا تميل ولا تزول .

سُطِحَت : بسطت ومهدت .

فذكّر : عظ يا محمد قومك .

بمسيطر : بمتسلط تجبرهم على ما تريد .

تولّى وكفر : اعرض وأنكر الإسلام .

العذاب الأكبر : العذاب العظيم وهو عذاب جهنم .

إيابهم : رجوعهم بعد الموت .

سُورَةُ الغَاشِيَة

ايضـــاح و دروس

هذه السورة تتحدث عن القيامة وعن مصير الناس آنذاك إما إلى نعيم أو عذاب مع لفت الأنظار إلى بعض مظاهر القدرة الإلٓهية القادرة على كل شيء.

بدأت هذه السورة بأسلوب يلفت الأسماع إلى أهوال يوم القيامة ومصير الناس في ذلك اليوم، فيقول الله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ فهنا استفهام لتعظيم أمر الغاشية مع تقرير حدوثها والتشويق إلى استماع أخبارها، والغاشية هي القيامة وسميت بذلك لأنها تغطي الناس بشدائدها وأهوالها.

ثم يعرض القرآن الكريم وصفاً لأهل العذاب ووصفاً آخر لأهل النعيم مبتدئاً بمشهد أهل العذاب لتناسبه مع الغاشية وشدائدها فيقول سبحانه:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ. عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ. تَصْلَى نَاراً حَامِيةً﴾.

فهناك يومئذٍ وجوه يظهر عليها الذل فقد عملت وتعبت في الدنيا ولم تستفد من عملها في الآخرة لأن عملها في الدنيا إنما كان الكفر والمعاصي؛ أو بمعنى: أن الكفار يتعبون ويشقون في الآخرة بجر السلاسل والأغلال في النار، بالإضافة إلى مقاساة حر جهنم.

ويتابع القرآن وصف ما يقاسي هؤلاء أيضاً:

﴿تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنيةٍ. لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ. لا يُسْمِنُ وَلاَ يُغني مِنْ جُوعٍ﴾.

فإذا عطش أهل النار وطلبوا ما يطفىء ظمأهم الشديد جيء لهم بماء

من ينبوع بلغ ماؤه من الحرارة غايتها، وإذا طلبوا الطعام ليدفعوا ما أصابهم من ألم الجوع قدم إليهم (الضريع) وهو نوع من الشوك لا يدفع جوعاً ولا يفيد سمناً، بل يؤذي آكله.

هذه هي حال أهل العذاب، أما أهل النعيم فيصفهم القرآن:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ. لِسَعْيِهَا راضيةٌ. في جنّةٍ عاليةٍ. لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغية﴾.

وجوههم ناعمة بمعنى أنها ذات بهجة وحسن من أثر ما يلاقون من النعيم.

﴿لِسَعْيِها رَاضية﴾ أي راضية عن عملها الذي عملت به في الدنيا، وراضية عن هذا النعيم الذي أثابها الله عليه في الآخرة. وأين هذا النعيم؟ إنه في ﴿جَنَّةٍ عَالية﴾ والجنة هي دار النعيم في الآخرة وسُمّيت بهذا الاسم من الاجتنان وهو الستر، لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، وهي عالية رفيعة في أوصافها ومزاياها. وقد وصف القرآن هذه الجنة: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَة﴾ أي لا تسمع فيها لغواً وباطلاً من القول. ووصفها بذلك قبل ذكر بقية أنواع النعيم فيها هو لنقد أحوال أهل النعيم والترف في الحياة الدنيا الذين يجعلون من متممات النعيم لهم الفحش وإطلاق الألسن عن حدود الأدب، وفي هذا درس للمؤمنين بأن لا يكونوا من أهل اللغو حينما يفيض الله عليهم نِعَمَهُ في الدنيا، فنعيمهم ينبغي أن يكون نعيم أهل الفضل والجد لا نعيم أهل الجهل والحمق.

ويتابع القرآن وصف نعيم الجنة:

﴿فيها عَيْنٌ جَارِية. فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

ففي الجنة ينابيع ماء جارية متدفقة لا تنقطع، وفيها المقاعد المريحة الموضوعة في أماكن مرتفعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم، وفيها الأكواب الموضوعة المهيأة الحاضرة بين أيديهم، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى بالشراب، وفي مجالسهم يتكئون على وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض. وقد بُسط من حولهم (السجاد) ليضفي البهجة والزينة على تلك المجالس.

وبعد أن قدّم القرآن لمحة عن الحياة الآخرة يعود بنا إلى حياتنا الحاضرة في جولة مما نشاهده حولنا لافتاً أنظارنا إلى عظمة الخالق وقدرته الظاهرة في هذا الكون والتي هي على مرأى الأنظار، هذه القدرة الإلّهية التي لا يعجزها بعث الناس من قبورهم للحساب في الآخرة. يقول سبحانه:

﴿أَفَلَا يَنْظُرونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وإلى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وإلى الجِبَال كيف نُصِبَتْ. وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

يلفت القرآن الأنظار إلى مخلوقات هي قربهم وفوقهم يرونها دون أن يأخذوا العظة منها وأول هذه المخلوقات: الجِمال لأن العرب الذين أُنزل القرآن عليهم كانوا يستخدمونها أكثر من غيرها في حياتهم، وفي خلقها أسرار وأسرار تنبيء عن الحكمة والقدرة الإلّهية وهذا ما سنفصّله في آخر هذه السورة.

أما خلق السماء فهو ينبيء أكثر على القدرة الإلّهية، والسماء هي كل ما علا الإنسان والتي فيها النجوم والكواكب وسائر الأجرام السماوية والتي قدّر العلماء عددها بعد اختراع المناظير القوية بما يزيد على بلايين الملايين.

كما لفت القرآن الأنظار إلى مظاهر القدرة الإلّهية التي نصبت الجبال

في الأرض، وبسطت الأرض وجعلتها ممهدة صالحة لسكنى مئات الملايين من البشر وأضعاف ذلك من المخلوقات الحيَّة.

بعد ذكر ما تقدم من صُوَر يوم القيامة، ومظاهر القدرة الإلٓهية في هذا الكون يلفت اللّٰه تعالى نظر رسوله محمد ﷺ إلى طبيعة رسالته القائمة على وعظ قومه وإرشادهم بالحسنى لا بالإكراه:

﴿فَذَكِّر إنَّما أنْتَ مُذَكِّر. لَسْتَ عَلَيهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾.

أي فذكّر يا محمد هؤلاء الناس بآيات اللّٰه الدالة على قدرته وحكمته، ونعمه عليهم، فإنما أرسلناك إليهم لتذكرهم هدى الله وتعظهم به، لست عليهم بمتسلط ولا أنت بجبار لتحملهم على ما تريد.

ثم يبين القرآن مصير من أعرض عن هدى اللّٰه:

﴿إلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ. فَيُعَذِّبُهُ اللّٰه الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾.

أي: لكن من أعرض عنك يا محمد ولم يهتد بهدي اللّٰه وكفر بآياته فيعذبه اللّٰه العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم.

هذا وإن رجوع الناس إلى اللّٰه بالموت والبعث أمر محتم واللّٰه سبحانه سيحاسبهم على أعمالهم: ﴿إنَّ إلَيْنا إيَابَهُمْ. ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

التفسيرُ العِلمي

يقول اللّٰه تعالى في معرض بيان قدرته: ﴿أفَلاَ يَنْظُرون إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَت﴾.

سؤال يتبادر إلى الذهن: لِمَ خص اللّٰه الإبل (أي الجمال) بالذكر دون غيرها من الحيوانات والأنعام؟ إن المتمعن في خلق الجمال يرى في ذلك معجزة تدل على نهاية الحكمة الإلٓهية.

فمن المعروف أن من صفات الجمل الظاهرة استعداده للتكيُّف مع المناخ الصحراوي مما يجعله جديراً باسم (سفينة الصحراء) فعينا الجمل ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلاً عن طبقتين من الأهداب تقيانهما الرمال، وكذلك المنخران والأذنان يكتنفهما الشعر للغرض نفسه. وأنف الجمل إنما هو شقان ضيقان، فإذا ما هبت العواصف الرملية انغلق المنخران وانثنت الأذنان على صغرهما نحو الجسم.

وإذا نظرنا إلى خف الجمل (أي قدمه) نرى أن عظامه تفرطحت ولبست قفازاً عريضاً من لحم طري يلين للرمل الذي يخطو عليه.

وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض الخشنة الساخنة.

والصحراء تهدد مرتادها بالجوع ولهذا يأكل الجمل إذا أنذره الجوع بالتهلكة كل ما يجد من العشب فإذا لم يجد العشب أكل النبت الخشن والشوك.

وعلى ظهر الجمل سنام من عضل وشحم حتى إذا خرج الجمل إلى سفر وعزه الغذاء وكاد ينذره الجوع بالفناء وجد الجسم فيما حمل من شحم في سنامه غذاء يطول به العيش أياماً.

ومن أشد الضرورات في الصحراء: الماء، وفي جسم الجمل من الاحتياط ما يحفظ به عليه الماء، من ذلك أنه لا يعرق أو لا يكاد. وأنفه متصل بفمه، والفم يحبس ما يخرج من هواء التنفس من ماء. وصاحب الجمل يغري الجمل بشرب المقدار الأكبر من الماء عند القيام بالسفر، ويبلغ ما يشربه الجمل ستين ليتراً من الماء وعندئذٍ يستطيع البقاء بلا ماء أياماً تتراوح بين ستة وعشرة أيام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا

شرح المفردات

والفجر : الواو واو القسم ، والفجر ضوء الصباح أول ظهوره في سواد الليل .

وليال عشر : العشر الأولى من شهر ذي الحجة ، وقيل : العشر الأخيرة من رمضان .

والشفع والوتر[1] : الشفع : العدد المزدوج . والوتر : العدد المفرد .

والليل إذا يسر : إذا ذهب ومضى .

لذي حِجْرٍ : لذي عقل .

عاد : قوم من العرب البائدة وقد بعث الله فيهم نبياً اسمه (هود) .

إرَمَ : اسم للمدينة التي بنتها عاد .

ذات العماد : ذات البناء الرفيع ، أو ان أهلها طوال الأجسام .

ثمود : قوم من العرب البائدة وقد بعث الله فيهم نبياً اسمه (صالح) .

جابوا الصَّخْرَ بالواد : أي قطعوا الصخور ونحتوها واتخذوا منها بيوتاً بوادي القرى .

فرعون : لقب لملوك مصر القديمة إلاّ أنه يأتي في القرآن خاصاً بفرعون الذي كان على عهد موسى .

ذي الأوتاد : أي الجنود ، لأنهم كانوا يشدون ملكه كما يقوي الوتد الخيمة .

فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ
سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾
وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا
لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ
يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ

شرح المفردات

طغوا : جاوزوا الحد في العصيان والظلم .

إنّ ربك لبالمرصاد : إن ربك يراقب كل إنسان حتى يجازيه بأفعاله .

ابتلاه : امتحنه واختبره .

فأكرمه ونعّمه : أي أعطاه المال وصيّره يرفل في بحبوحة النعيم .

قَدَرَ عليه رزقه : ضيق عليه رزقه .

لا تحاضُّون : لا يحثُّ بعضكم بعضاً .

التُراثَ : الميراث .

لمّا : شديداً .

جمّاً : كثيراً .

دُكّت الأرض : زلزلت وهدمت .

جاء ربك والملك صفاً صفاً : أي جاء أمر ربك بالمحاسبة والملائكة مصطفة صفوفاً .

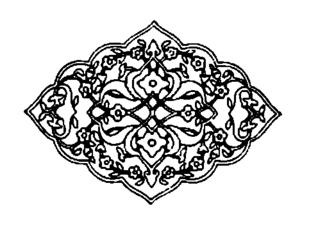
لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

شرح المفردات

قدّمت لحياتي : أي قدمت عملاً ينفعني في الحياة الآخرة .

فيومئذٍ لا يُعذِّب عَذابه أحد : أي لا يعذب كعذاب الله أحد .

ولا يوثق وثاقه أحد : الوثاق الربط بالسلاسل والأغلال أي لا يوثق كوثاق الله أحد .



سُورَةُ الفَجْر

ايضـــاح و دروس

هذه السورة فيها إنذار للأمم الطاغية الفاسدة بسوء المصير مع بيان سنن الله في ابتلاء عباده بالخير والشر مع ذكر القيامة وجلال الله المسيطر آنذاك ومصير الناس في ذلك اليوم الرهيب إما إلى نعيم أو إلى عذاب.

يستهل الله هذه السورة بالقسم بجملة أمور هامة تدل على عظمة إبداعه لخلقه وحكمة تدبيره له:

﴿وَالْفَجْرِ وَلَيالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ في ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله بضوء الصباح لأنه من بديع صنعه، ولما يشير إلى انقضاء الليل وإقبال النهار ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ كما أقسم سبحانه بليال عشر مفضلة عنده، قد تكون الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان حيث يصادف فيها ليلة القدر التي ابتدأ فيها نزول القرآن هدى للناس، ويكون لفت النظر إليها إلى الصلة التي تربطها بالفجر، فكما أن الفجر يزيل ويبدّد ظلمة الليل، فكذلك القرآن يزيل ويبدّد ظلمة الجهل والكفر. وقيل المراد بها الليالي العشر المباركات من أول ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج وفيها يتطهر الإنسان من ذنوبه، وقد جاء في صحيح البخاري: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام».

﴿وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ﴾ وأقسم سبحانه بالزوج والفرد من كل ما هو موجود والمراد بذلك الخلق والخالق، فإن الله تعالى واحد «وتر» والمخلوقات ذكر

وأنثى، «شفع».

﴿واللَّيْلِ إذَا يَسْرِ﴾ وأقسم الله بالليل إذا ذهب ومضى وحلّ بعده النهار فتناوب الليل والنهار من آيات القدرة الإلّهية ﴿هَلْ في ذَلِكَ قَسَمٌ لِذي حِجْرٍ﴾ أي هل فيما ذكر من هذه الأمور قسم مقنع لذي عقل. والاستفهام هنا تقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أموراً جليلة، حقيقة بالتدبر والتفكر. والمقسم عليه محذوف تقديره: ورب هذه الأشياء ليعذبنّ الكفار، ويدل عليه ما جاء في القرآن بعد ذلك:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ. الَّتي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا في البِلادِ. وَثَمودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَونَ ذِي الأَوْتَادِ. الَّذين طَغَوا في البِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

فالله سبحانه يقول: ألم تعلم يا محمد ماذا فعل الله بقوم «عاد» وهؤلاء من العرب البائدة وكانوا يسكنون بالأحقاف بين عُمان واليمن ﴿إرم﴾ وإرم إما هي قبيلة من عاد، أو بلدة كانت تسكنها عاد ﴿ذَاتِ العِمَاد﴾ قيل إنهم كانوا طوال الأجسام وقيل المراد بذلك: عماد خيامهم فإنهم كانوا رحالة ينتجعون إلى المراعي وينصبون خيامهم في رحلاتهم، وقيل كانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ﴿التي لَمْ يُخْلَق مِثْلُهَا في البِلَادِ﴾ أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في البلاد قوة وشدة وعِظم أجساد وطول قامة ﴿وَثَمودَ﴾ وهي قبيلة مشهورة من العرب البائدة وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك ﴿الّذين جَابُوا الصَّخْرَ﴾ أي قطعوا صخر الجبال ونحتوها وجعلوا منها بيوتاً لهم ﴿بِالواد﴾ أي بوادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذي الأَوْتَادِ﴾ أي فرعون ذي الجنود الذين يقوون أمره وقيل: كان يعذب الناس بالأوتاد فيوثقهم بها إلى أن

يموتوا ﴿الَّذِين طَغَوْا في البِلَادِ﴾ أي تمردوا وَعَتَوْا وتجاوزوا الحد في الظلم والعدوان ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسادَ﴾ أي فأكثروا في البلاد الظلم والجوْر والقتل وسائر الآثام ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي شدة عذاب. وأصل الصب في اللغة إراقة الماء مع تدفق. والسوط هو أداة الضرب المعهودة، والأصل في السوط أن يُضرب به ويؤلم، لكن البلاغة القرآنية عدلت عن الأصل إلى صب سوط عذاب فوصل بالتعذيب في السوط إلى أقصى مدى بما يعني الصب من تدفق وغمر، وبما يعني وقع السوط على الجسم من ألم شديد. ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبالْمِرْصَادِ﴾ أي إن ربك يرقب عمل كل إنسان حتى يجازيه به.

ثم ينتقل القرآن إلى الكلام عن الغنى والفقر وتأثيرهما على النفس:

﴿فَأَمَّا الإنسَان إذا ما ابتلاهُ ربُّهُ فأكرمه ونعَّمه فيقول: ربي أكْرَمَنِ. وَأَمَّا إذا ما ابتلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فيقول: ربّي أَهَانَنِ﴾.

فكثير من الأغنياء يتصورون أن كثرة أموالهم هو دليل رضاء اللّه عنهم، وأنه سبحانه خصهم بالفضل والكرامة من دون الناس. وكثير من الفقراء يتصورون أن قلة أموالهم هي إهانة لهم من اللّه، لهذين الصنفين يقول القرآن في مطلع الآية التالية (كَلَّا) أي ليس الأمر في الحالين كما يتصوره الإنسان، فتوسعته سبحانه بالرزق على من وسّع عليه ليس ذلك إكراماً له على الحقيقة ولا يدل على أنه كريم عند اللّه، وأن تقتيره على من قتّر عليه لا يدل على إهانته وسقوط منزلته عنده، بل اللّه يوسّع ويقتر ابتلاءً وامتحاناً للإنسان، ولذلك يصدّر اللّه الآية في الحديث عن الغنى والحديث عن الفقر بقوله: ﴿إذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ والابتلاء هو الاختبار والامتحان.

فالغنى هو اختبار من اللّه للإنسان ليظهر مدى صموده لفتنة النعم،

والفقر هو اختبار أيضاً لكشف مدى صبره على الضيق، وقد يكون، ما يبدو نعمة وبالاً على صاحبه، وما يبدو نقمة خيراً لـه، كأن يؤدي الانغمـاس في النعم إلى الـطغيان واتبـاع الشـهـوات وتـرك طـاعـة الله، كمـا يؤدي الفقـر والحرمان إلى الرجوع إلى الله وعبادته وطاعته.

ثم ينـدد الله بالعصـاة من الأغنياء الـذين لا يـدركـون معنى الابتـلاء ولا يسيرون على المنهج القويم:

﴿كـلَّا بَلْ لا تُكْـرِمُونَ اليتيمَ. ولا تَحَـاضُّونَ عَلَى طَعَـامِ المسكينِ. وَتَأكلونَ التُّراثَ أكلاً لمًّا. وتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً﴾.

فهؤلاء الأغنياء الذين لا يكرمون اليتيم بل يهينونه، ولا يحث بعضهم بعضاً على إطعام المسكين ويأكلون الميراث أكلاً شديداً سواء أكان ميراثهم أو ميراث غيرهم، ويحبون المال حبّاً شديداً مما يدفعهم إلى جمعه بأي وسيلة كانت. هؤلاء يندّد الله بهم في مطلع الآية التالية بقوله: (كلا) أي ارتدعـوا عن هذه الأفعال فليـس ذلك هو الطريق السليم الذي ينبغي سلوكه.

وبعد أن كشـف الله سوء أعمالهم يأتي الـوعيد الـرهيب لهؤلاء لعلهم يسلكون سبيل الهدى وذلك باستعراض أهوال يوم القيامة من زلـزلة الأرض وتهدم ما عليها، والجلال المـسيطر على ذلك اليوم من مجيء أمر الله وقضائه والملائكة صفّاً بعد صف، وظهور جهنم للعصاة: ﴿كَلَّا! إذا دُكَّت الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً. وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صفّاً. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّم﴾.

أمام هذه المشـاهدة المروعة يُعـرض للإنسـان سجل أعمـاله ويتـذكر ولكن لا ينفعه هذا التذكر وقد فات الأوان ﴿يَـوْمَئِذٍ يَتَـذَكَّرُ الإنْسـان وأنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ عند ذاك ينطق الإنسان الذي عصى ربه بهذه الكلمة التي تفيض

بالحسرة والندم: ﴿يقول: يا ليتني قَدَّمْتُ لحياتي﴾ يا ليتني قدمت في الدنيا من صالح الأعمال ما ينفعني في حياتي الآخرة. فإطلاق اسم (حياتي) في القرآن على الآخرة إشعار بأنها هي الحياة الحقيقية التي تستحق اسم الحياة. فعصيان الإنسان لربه في الدنيا لم يجلب له في الآخرة غير الندم والتحسّر ولكن هيهات أن ينفع الندم فهناك عذاب الله ووثاقه للمجرمين الذي لا يشبهه أي عذاب في الدنيا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ. وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ﴾.

وفي غمرة هذا كله تتلفت النفس متلمسة مصير الصالحين البررة، وهنا تأتي البشرى من الله للصالحين بما أعد لهم من ثواب:

﴿يا أيتها النَّفْسُ المطمئنَة. ارجعي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي﴾.

والنفس المطمئنة هي النفس التي لا يستفزها خوف ولا حزن، المطمئنة إلى لقاء ربها وإلى المصير الحسن الذي وعد الله به أهل الإيمان.

والنفس المطمئنة هي التي لم تعص الله في الدنيا، المسلمة أمرها فيما هو فاعل بها.

هذه النفس المطمئنة يخاطبها الله بالذات كما كلّم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وقيل عند البعث أو عند الموت ﴿ارْجِعي إلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته راضية بما أعده الله لكِ من المثوبة الحسنة، مرضية من الله بما قَدَّمْتِ من عمل صالح ﴿فَادْخُلي في عِبَادي وَادْخُلي جَنَّتِي﴾ فادخلي في زمرة عباد الله المقربين وتمتعي بالنعيم الدائم بالجنة.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ
نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠
فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣
أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا

شرح المفردات

لا أقسم : عبارة من عبارات العرب في القسم يراد بها تأكيد الخبر كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم والنفي في هذا القسم أريد به تعظيم المقسم به ،

بهذا البلد : أي مكة المكرمة .

حِلٌ : مقيم .

كبد : شدة ومشقة .

مالاً لُبَدا : مالاً كثيراً .

النجدين : طريقا الخير والشر .

اقتحم : الاقتحام هو الدخول في الأمر الشديد وركوب المهالك والأمور العظام .

العقبة : طريق في الجبل وعرة يصعب سلوكها ، والمراد بها هنا مجاهدة الإنسان نفسه

فك رقبة : عتق رقيق .

مَسْغبة : مجاعة .

ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

شرح المفردات

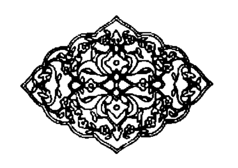
متربة : فقر شديد .

تواصوا بالمرحمة : أوصى بعضهم بعضاً بالرحمة على الخلق .

أصحاب الميمنة : السعداء في الآخرة .

أصحاب المشأمة : الأشقياء في الآخرة .

مؤصدة : مطبقة مغلقة .



سُورَة البَلد

ايضـــاح و دروس

هذه السورة تبين أن الإنسان خلق بحيث يعاني المتاعب والمشقات وأن الفوز بنعيم الآخرة يتوقف على اجتيازه العقبة التي صورتها السورة بجملة أمور من الأعمال الصالحة.

استهل اللّه تعالى هذه السورة بالقسم بمكة ﴿لا أُقْسِمُ بِهَـذَا البَلَدِ﴾ نظراً لفضلها، فإنه سبحانه جعلها حرماً آمناً فقال في المسجد الحرام الذي فيها: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كان آمناً﴾. وجعل سبحانه ذلك المسجد قِبْلَةً للناس في الصلاة، كما أمرهم بالحج إليه.

ويكرم اللّه محمداً ﷺ فيذكره، ويذكر أن إقامته بمكة تزيد هذا البلد شرفاً ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ[1] بهذَا البَلَدِ﴾.

ويقسم اللّه أيضاً بـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ويراد بذلك ـ واللّه أعلم ـ آدم وما ولد، وتتابع الأجيال طبقة بعد طبقة وما يرثه الأبناء عن آبائهم وأمهاتهم من صفات وطباع، وفي ذلك دلالة واضحة على بالغ القدرة الإلّهية.

ثم يأتي جواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَـان في كَبَدٍ[2]﴾ أي جُعل الإنسان بحيث يعاني المتاعب والمشقات لترتفع نفسه عن مستوى البهيمية، فحياة الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض إلى انتهاء أجله محفوفة بالآلام،

(١) وأنت حِلّ بهذا البلد: قيل في تفسيرها: أحل اللّه يا محمد ما صنعت في مكة من قتال المشركين ولم يحل لأحد غيرك، لأن مكة بلد آمن حرّم اللّه أن يُسفك بها دم، إلاّ أن اللّه أذن لنبيه محمد ﷺ ساعة من نهار في قتالهم كما جاء في الحديث الشريف.

(٢) كبد: يقال كابدت الأمر إذا قاسيت شدته.

مكتنفة بالمصائب والصعاب، وعلى الإنسان أن يتقبّل هذا المفهوم لحقيقة الحياة، ويكيّف حياته وتفكيره وفق ذلك فلا يُفاجأ بحلول المصائب والصعاب عليه.

والإنسان قد يصيبه الغرور بما ينال من أسباب القوة والثراء فيطغى ويظلم، وهنا يقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي أيظن هذا الإنسان أنه سيكون بمنجاة من القِصاص. بئس ظنه وهو في قبضة اللّه، وحين يُدعى لبذل بعض ماله في سبيل البر والإحسان ﴿يَقُولُ: أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أي أنفقت مالاً كثيراً، وهو لم ينفق ماله غالباً إلّا على ملذاته وشهواته ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي أيظن أنه حين كان ينفق هذا المال أن اللّه لا يسأله عنه، ولا يجازيه على إنفاقه له، وهل كان في سبيل الخير أم في سبيل الشر.

ثم يبيّن القرآن نِعَمَ اللّه وفضله على الإنسان:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَينينِ. وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

فاللّه جعل للإنسان عينين على هذا القدر من الدقة وإعجاز الصنع، وبفضلهما يسعى إلى معاشه، وينعم بمتعة الرؤية فليشكر اللّه على نعمة البصر ويحفظه من رؤية المحرمات. كما أنعم اللّه على الإنسان بلسان وشفتين يستطيع التذوق والنطق بهما، فإذا اشتط في حديثه فليذكر منّة اللّه عليه، وليجعل من هذه المنّة سبيلاً إلى الحق، فلا ينطق إلّا بخير.

واللّه سبحانه أودع في الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، وجعل له العقل للتمييز بينهما ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي عرفناه وبينا له طريقي الخير والشر، لذا يجدر بالإنسان ألّا ينساق إلى نزعة الشرّ التي فيها شقاؤه وليسلك طريق الصلاح، ويجتاز العقبة التي تحول بينه وبين الجنة.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَو إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

أي أفلا سلك الإنسان الطريق الذي فيه اجتياز العقبة، والعقبة هي الطريق الوعر في الجبل الذي يصعب اجتيازه، وقيل: العقبة المراد بها جبل في جهنم، وقيل: العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال الخير ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أي وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟ وهذه الآية لزيادة تقريرها.

والسبيل لاجتياز العقبة واقتحامها هو: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي إعتاق إنسان من الرق، واستعمال القرآن للفظي: الفك، والرقبة، فيه إشعار بأن الإنسان المسترق مغلول الرقبة بقيد يسلبه إنسانيته وينزل به إلى منزلة الدواب.

فالمجتمع العربي في عهد الرسالة الإسلامية كان يعاني من مآسي الرق فجاء الإسلام يعالج قضية الرق وما ينتج عنه من مآس فأحاطه بعوامل الرأفة والرحمة، وجعل عتق الأرقاء في كثير من الكفارات، كما جعل عتقهم من أجلّ الأعمال الصالحة التي يثاب عليها الإنسان من ربه.

والسبيل إلى اقتحام العقبة أيضاً: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي أن يطعم الفقير في يوم ذي مجاعة، والتقييد بهذا اليوم لأن إخراج المال فيه هو أشد على النفس، وبالأخص إذا كان هذا الفقير ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يتيماً ذا قرابة في النسب للغني ﴿أَو مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أو مسكيناً في نهاية العوز بحيث لا يجد بيتاً سوى التراب. فتضحية الغني بقسم من ماله في سبيل هؤلاء المعوزين يتطلب ترويض النفس ومجاهدتها وهي العقبة التي يجب أن يقتحمها الإنسان للوصول إلى رضاء ربه عليه. وهذه الأمور يجب أن يصحبها جملة خصال:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

فالإيمان هو الأساس لقبول الأعمال عند اللّٰه، أما التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة فهما يؤديان إلى إقامة المجتمع السليم المتماسك بأخلاقه ومبادئه.

وهؤلاء المؤمنون المتواصون بالصبر والمتواصون بالرحمة على عباد اللّٰه هم ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أي السعداء في الآخرة. واللغة العربية تعني باليمين البركة خلاف الشؤم، والقرآن سمى أهل الجنة: ﴿أَصْحَاب اليَمين﴾ و ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ لأنهم يأخذون كتاب أعمالهم يوم القيامة بأيديهم اليمنى.

ثم يأتي ختام السورة وفيها إنذار للكافرين بالعذاب يوم القيامة:

﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِنَا هُمْ أَصْحَاب الْمَشْأَمَة. عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَة﴾ فالذين جحدوا بنبوة محمد ﷺ وكذبوا بآيات القرآن هم ﴿أَصْحَابُ المشْأَمَة﴾ والمشأمة خلاف الميمنة، وهي: الشمال وقد سمى اللّٰه أهل النار ﴿أَصْحَابُ الشِّمَال﴾ لأنهم يأخذون كتب أعمالهم يوم القيامة بشمالهم، وأصحاب المشأمة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي نار مطبقة مغلقة يوم القيامة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ
خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ

شرح المفردات

والشمس وضحاها : الواو واو القسم ، أي قسماً بالشمس وضيائها .

والقمر إذا تلاها : أي قسماً بالقمر إذا تبعها .

والنهار إذا جلّاها : أي قسماً بالنهار إذا أظهر الشمس وكشفها للناظرين .

والليل إذا يغشاها : أي قسماً بالليل إذا غطى الشمس فلم تظهر .

والسماء وما بناها : أي قسماً بالسماء وبالله الذي خلقها .

والأرض وما طحاها : أي قسماً بالأرض وبالله الذي بسطها ومهدها .

ونفس وما سوّاها : أي قسماً بالنفس الإنسانية وبالله الذي أبدعها في أحسن صورة .

فألهمها فجورها وتقواها : عرفها طريقي الخير والشر .

أَفْلَحَ من زكّاها : فاز من طهر نفسه من الآثام والمعاصي .

خابَ من دسّاها : خسر من أفسد نفسه بالإثم والمعاصي .

ثمود : قبيلة من العرب القدامى .

بطغواها : أي بسبب طغيانها ، والطغيان مجاوزة الحد في العصيان .

انبعث : اندفع ومضى لعقر الناقة .

أشقاها : أشقى رجل في ثمود وهو ذابح الناقة .

﴿لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾

شرح المفردات

رسول الله : هو النبي صالح عليه السلام .

ناقَةَ الله وسُقْيَاهَا : أي احذروا أن تمسوا الناقة بالسوء وتمنعوها من السقي في الأيام التي حدّدها الله لسقياها .

فعقروها : أي ذبحها الأشقى برضى الجميع .

دمدم عليهم ربهم بذنبهم : أهلكهم الله بسبب ذنبهم .

فسوّاها : أي جعل الله العذاب سواء بينهم فلم يفلت منهم أحد .

ولا يَخَافُ عُقباها : ولا يخاف الله تبعة عمله لأنه حرّ التصرف في ملكه .

سُورَةُ الشَّمس

ايضاح و دروس

في هذه السورة ترغيب في تطهير النفس من الأثام لأن في ذلك فوزها، وترهيب من خسرانها بالكفر والمعاصي. وإنذار لكفار مكة وأمثالهم أن يصيبهم من العذاب والهلاك مثل ما أصاب قوم ثمود حين كذبوا رسول الله صالح وعصوا ربهم.

يستهل الله هذه السورة بالقسم بالشمس وضوئها حين يسطع ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ليلفت الأنظار إلى بهائها وعظمة خلقها[1] وما ترسله من حرارة وأشعة وطاقة[2] تبث بذلك الحياة على الأرض، فهي ترسل أشعتها

(١) حجم الشمس يعادل حجم الأرض مليوناً وثلثمائة ألف مرة.

(٢) الشمس تشع كل دقيقة ٩٠ ألف سعر حراري من كل سنتمتر مربع من سطحها أي ٨٤ ألف حصان ميكانيكي عن كل متر مربع.

وحرارتها بمقدار، فلو أعطت الشمس أقل من الحرارة التي ترسلها إلى الأرض لأصبح كل ما على الأرض جليداً، ولو أعطت أكثر من الحرارة التي ترسلها لالتهبت الغابات واشتعلت النيران في أكثر أقطار الأرض، والسؤال: من أين تأتي الشمس بوقودها؟ إن كانت تنفق من مختزن في باطنها لانخفضت درجة حرارة الشمس عاماً بعد عام، ولكن إذا نظرنا إلى الماضي البعيد رأينا الشمس أعطت الأرض ولا تزال تعطيها من الحرارة مقداراً معيناً في الحدود التي يعيش فيها النبات والحيوان[1].

فمن أين إذن تستمد الشمس مصدر طاقتها؟ وما هو المصدر الذي يمدها بالحرارة التي تفقد منها ويستمر في إمدادها بمقدار معين؟

إنه اللَّه سبحانه وتعالى جلَّت قدرته.

ثم يقسم اللَّه بالقمر إذا تبع الشمس وخلفها في الإضاءة بعد غروبها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ وتأمل كيف قرن اللَّه القمر إلى الشمس تأكيداً على أهمية الشمس ولأن ضوء القمر مستمد من نورها. فالقمر آية من آيات اللَّه، فهو يرسل نوره اللطيف وما يستتبع ذلك من فائدة للكائنات الحية، كما قدره اللَّه منازل لنعلم عدد السنين وحساب الزمن، فهو بهذا يدل على وجود اللَّه وحكمته، وينفي قيام هذا الكون على الصدفة العمياء كما يدعي الماديون.

ويقسم اللَّه بالنهار الذي يظهر الشمس ويكشفها للناظرين ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ وقد جعل اللَّه النهار ليلتمس فيه الإنسان معاشه، مبتغياً من فضل ربه ما يحفظ له وجوده واستمرار حياته.

---

(١) علم الجيولوجيا أثبت أن سلسلة التطور العضوي مستمرة ومتصلة الحلقات دون انقطاع منذ الحقبة السابقة على العهد الكمبيوري أي منذ بضع الملايين من السنين ولذلك ينتج أن إشعاع الشمس طوال هذه الحقبة لم يكد يتغير عما هو الآن.

كما يقسم سبحانه بالليل الذي يغطي الشمس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ وقد جعل الليل راحة للأبدان من عناء العمل، فلو كان العمر كله نهاراً لما استطاع الإنسان متابعة مسيرة الحياة بهمة ونشاط.

ثم يقسم سبحانه بالسماء: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا[1] بَنَاهَا﴾ أي هذه السماء ومن خلقها ورفعها وهو اللّٰه تعالى. فهذه السماء المحتوية على بلايين النجوم والكواكب ترمز إلى عظمة القدرة الإلّهية التي أبدعتها.

ويقسم سبحانه بالأرض: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أي هذه الأرض ومن بسطها وهو اللّٰه تعالى الذي جعلها ممهدة صالحة لسكنى الإنسان والحيوان.

وأخيراً يقسم اللّٰه بالنفس الإنسانية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أي ومن كملها وسوّى خلقها وهو اللّٰه سبحانه، فجعل أعضاء الإنسان وجوارحه في نهاية الإبداع والمنفعة فزوده اللّٰه سبحانه بالعقل أداة للتفكير، واللسان للتكلم، والعين للبصر، والأذن للسمع، والأنف للشم، واليدين والرجلين لكسب عيشه.. وغيرها مما يحتويه جسم الإنسان من أسرار وعظمة إبداع.

ثم ينتقل القرآن إلى بيان ما أودع اللّٰه في نفس الإنسان من خصائص لإدراك الخير والشر، والهدى والضلال، فقال سبحانه ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي بيّن للنفس الإنسانية ما ينبغي أن تأتي من خير وطاعة، وما يجب أن تترك من شر ومعصية، أو بعبارة أخرى عرّفها طريق الخير وطريق الشر.

وبعد ذلك يأتي جواب القسم وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

---

(١) ما: اسم موصول بمعنى: من.

أي قد فاز من طهّر نفسه من الذنوب ونماها بالخيرات، وأعلاها بالتقوى ﴿وقد خَابَ من دسَّاهَا﴾ أي قد خسر من أخفى نفسه بالمعصية ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. ودسّاها أصلها دسسها من التدسيس وهو الإخفاء[1].

ثم ينتقل القرآن إلى الكلام عن قوم ثمود وما حلّ بهم من عذاب جزاء عصيانهم نبيهم صالح عليه السلام، ولتوضيح ذلك يحسن بنا أن نمهد لذلك بالكلام عن غاية القصة في القرآن ثم حقيقة قصة ثمود.

الغاية من قصص الأنبياء: إن الغاية من إيراد قصص الأنبياء في القرآن هي التبشير برضوان اللّٰه، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادىء الدعوة الإسلامية، وفي تثبيت قلب النبي ومن اتبعه، وفي الدلالة على صدق نبوته. والقرآن يأخذ من قصص الأنبياء ما يحقق الهدف من الوعظ، فحيناً يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء كقصة يوسف عليه السلام، وفي معظم الأحيان يأخذ جانباً من القصة لأن في هذا الجزء العبرة المطلوبة كقصة موسى عليه السلام، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحاً اعتماداً على أن القصة معروفة مشهورة.

وقصص الأنبياء تكررت تارة على وجه الإطناب وطوراً على طريقة

---

(١) هذا التعبير القرآني للتزكية بمعنى الإعلاء والتدسية بمعنى الإخفاء مستقى من البيئة العربية فقد كان أجواد العرب ينزلون الربى ومرتفعات الأرض يوقدون النار في الليل حتى يراهم الطارقون والسائلون ويقصدونهم، وكان اللئام ينزلون أسافل الأودية ليخفوا أنفسهم عن الطالبين وذوي الحاجة، فكان يقال للأولين أنهم علوا بأنفسهم وزكوها أي رفعوها وشهروها وكان يقال للآخرين أخفوا أنفسهم ودسوها، فالتقي رفع نفسه بأعمال البر والخير والفاجر أخفاها بالفجور والمنكرات.

الإيجاز وفي هذا يتجلى إعجاز القرآن وتظهر فصاحته.

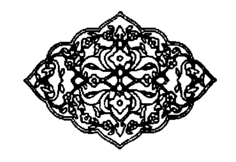
وفي هذه السورة يذكر القرآن قصة ثمود بإيجاز ملمحاً لها، لذا يَحْسُن بنا أن نوضحها مستنيرين بما ذكره القرآن في مواضع أخرى.

قصة ثمود: أرسل الله نبيه صالحاً إلى قومه ثمود ليعظهم ويدعوهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام. وكانت ثمود ـ وهي من قبائل العرب البائدة ـ تسكن شمالي الحجاز في (الحجر) وهي تعرف حالياً باسم (مدائن صالح). لم يؤمن الثموديون بما جاء به نبيهم ولم يسيروا في طريق الحق كما أرشدهم بل كذبوا دعوته، وطلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة تثبت أنه رسول الله حقاً فأتاهم بناقة خلقها الله على غير المألوف وأمرهم ألاّ يمسوها بسوء وجعل الله لها شرباً في يوم معلوم وجعل لهم شرباً في يوم غيره وأوعدهم بالعذاب إن اعتدوا عليها.

مكثت الناقة بينهم زمناً تأكل من نبات الأرض ترِدُ الماء يوماً وتُصَدُّ عنه يوماً آخر، ولا ريب في أن قيامها على هذا الحال قد استمال الكثير من قوم صالح إذ رأوا فيها آيةً على صدق نبوته فأفزع هذا الأمر طبقة الأشراف فخافوا على كيانهم أن يزول فدفعهم ذلك إلى التأليب على قتلها فحذرهم نبيهم صالح فلم يرعووا، واندفع شقيٌّ منهم إلى المكان الذي ترعى فيه الناقة فذبحها بموافقتهم فاستحقوا بذلك غضب الله فأطبق عليهم العذاب واستأصلهم بسبب ذنبهم ولم ينج منهم أحد إلاّ نبي الله صالح ومن آمن معه وهذا ما ذكره الله سبحانه بإيجاز في آخر هذه السورة:

﴿كَذَّبَت ثمودُ بِطَغْوَاهَا. إذ انْبَعَثَ أشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّه وسُقْيَاهَا. فَكَذَّبوه فَعَقَرُوهَا. فَدَمْدَمَ عليهم رَبُّهم بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا. ولا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

فاللّٰه سبحانه يخبرنا عن قوم ثمود أنهم كذبوا رسوله صالحاً بسبب ﴿طَغْوَاهَا﴾ أي بطغيانهم الذي هو مجاوزة الحد في الكفر والمعاصي. ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ إذ مضى مندفعاً أشقى فرد في ثمود وهو قدار بن سالف لعقر الناقة التي حذرهم اللّٰه من أن يمسوها بسوء ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي قال لهم احذروا ناقة اللّٰه أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ ولا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شربَ يوم ولكم شرب يوم معلوم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي فكذبوا رسول اللّٰه صالح وعقرها أشقاهم وأضيف الضمير إلى الكل لأنهم رضوا بفعله ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ﴾ أي أهلكهم اللّٰه وأطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب لرسول اللّٰه وعقر الناقة ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي سوّى الهلاك عليهم وعمهم العذاب فأتى على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منهم أحد ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي لا يخاف اللّٰه من أحد تبعة إهلاكهم كما يخاف الملوك تبعة ما يفعلون لأن اللّٰه سبحانه لا يُسأل عما يفعل.





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا

شرح المفردات

والليل إذا يغشى : الواو واو القسم ، أي قسماً بالليل إذ يغطي كل شيء بظلمته .

والنهار إذا تجلّى : أي قسماً بالنهار إذ يظهر ويكشف الأشياء بنوره .

إن سعيكم لشتى : ان عملكم لمختلف .

أعطى : أي أعطى المال في وجوه الخير زكاة وصدقة .

اتقى : تجنب الإثم والمعصية .

الحسنى : هي كل خصلة حسنة أمر الله بها وقيل المراد بها كلمة (لا إله إلا الله) .

فسنيسّره لليُسْرى : نسهل له أسباب الخير وكل ما ادت عاقبته إلى اليسر والراحة .

واستغنى : لم يرغب إلى الله تعالى بالعمل الصالح واستغنى بمالِهِ عن ربه .

العُسْرى : هي كل ما أدت عاقبته إلى عسر وتعب .

تردّى : سقط في جهنم .

لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

شرح المفردات

الهدى : الإرشاد إلى الطريق المستقيم وهو نقيض الضلال والكفر .

تلظّى : تتوقد وتتوهج .

لا يصلاها : لا يقاسي حرّها .

تولّى : اعرض عن الإيمان .

يتزكّى : ينمي نفسه بالخيرات ويطهرها من الآثام .

من نعمة تجزى : مكافأة أحد على معروف كان قد تقدم به إليه .

إلّا ابتغاء وجه ربه : إلّا طلباً لرضاء الله .

سُورَةُ الليل

ايضاح و دروس

هذه السورة تتحدث عن عمل الإنسان الصالح الذي يؤدي به إلى اليُسر في الدنيا والنعيم في الآخرة، كما تتحدث عن عمل الإنسان السيء الذي يؤدي به إلى العسر في الدنيا والعذاب في الآخرة.

يستهل اللّه هذه السورة بالقسم بالليل والنهار اللذين هما آيتان من آياته الدالة على قدرته وحكمته: ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى﴾.

فاللّه يقسم بالليل إذ يغطي النهار بظلمته ويُذهب ضوءه ويقسم بالنهار حين يظهر للأبصار ويضيء فينير الأشياء بنوره.

فلو كانت الحياة كلها ليلاً لتعذر على الناس السعي في طلب الرزق وعمارة الدنيا، ولو كانت الحياة كلها نهاراً لبطلت مصلحة الناس و لتعذر عليهم السكون والراحة بعد التعب.

كما يقسم اللّه بخلقه الذكر والأنثى ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ فوجود الأنثى بجانب الذكر لأجل التناسل ودوام بقاء الحياة للنوع الإنساني والحيواني من البراهين القوية على وجود اللّه وعلى وجود القصد مما يدحض الزعم القائل بقيام الكون على المادة العمياء.

فاللّه سبحانه أقسم بما هو مدرك حسيّاً من تفاوت الليل والنهار، ومن التفاوت في المخلوقات بين ذكر وأنثى، توطئة إيضاحية لبيان تفاوت مماثل في سعي الناس في الدنيا بين هدى وضلال، ولهذا يأتي جواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى﴾ أي إن عملكم لمختلف فمنكم تقي ومنكم شقي.

أما مظاهر التقى والهدى وآثارها فيصفها اللّه سبحانه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

هنا يرتّب اللّه الجزاء على جنس العمل، فالإنسان الذي يعمل ثلاثة أشياء: ﴿أَعْطَى﴾ أي أعطى المال صدقة وزكاة لسد حاجة المسكين. ﴿واتَّقَى﴾ أي اتقى الإنسان ما يغضب ربه وذلك بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ والحسنى هي عقيدة الإسلام التي فيها مجمل العقائد الحسنة وفي مقدمتها كلمة التوحيد. هذه الأشياء الثلاثة يترتب عليها التيسير لليسرى، ومن يسّره اللّه لليسرى فقد حاز السعادة، وما السعادة إلاّ الحياة الميسّرة الخالية من كل عسر وضيق...

وأما مظاهر الضلال والشقاء وآثارها فيصفها الله سبحانه:

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى. وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

وهنا يرتّب الله الجزاء على جنس العمل ولكنه جزاء مخالف تماماً للصورة السابقة، فمن يتصف بثلاثة أشياء: ﴿بَخِلَ﴾ والبخيل هو الذي يمسك يده عن الإحسان ولا يبذل ماله في سبيل الفقير المحتاج. ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ أي عد نفسه غنياً عن الناس بما لديه من المال فانكمش على نفسه فلا تجد الرحمة إلى قلبه سبيلاً إلى الضعفاء والمحتاجين. أو بمعنى زهد فيما عند الله فلم يرغب إليه بالعمل الصالح. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي كذّب بعقيدة الإسلام وما أمر الله به من الخصال الحسنة. هذه الأمور الثلاثة يترتب عليها التيسير للعسرى، ومن يسره الله للعسرى حُرِم كل تيسير في حياته، وقاسى كل ضيق ومشقة، وبهذا يكون هو الشقي التعيس، وإن ملك المال الكثير ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي ولا ينفع هذا البخيل المال الذي جمعه واستغنى به عن ربه ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ إذا سقط في جهنم أو إذا مات.

والله سبحانه بيّن للإنسان سبل الهداية التي فيها سعادته، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي إن علينا بيان الحق من الباطل، والطاعة من المعصية. كما أنه سبحانه له ملك السموات والأرض يعطي منهما من أراد ويحرم من شاء ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ فمن طلب سعادة الدنيا والآخرة بغير هدى الله فقد ضل الطريق الموصل إلى سعادته. والجدير بالذكر أن الله قدّم ذكر ﴿الآخرة﴾ على ذكر الحياة الدنيا التي سماها ﴿الأولى﴾ تأكيداً على وجود من ينكرها، وأنها أفضل من الحياة الدنيا.

ثم ينذر الله من كذّب بالإسلام وأعرض عن هداه بالعذاب في

الآخرة:

﴿فَأَنْذَرْتُكُم ناراً تَلَظَّى. لا يَصْلَاهَا إلاّ الأَشْقَى. الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى. وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى. الَّذي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

فاللّه يقول: فأنذرتكم أيها الناس ناراً تتوهج وهي نار جهنم، فاحذروا أن تعصوا ربكم في الدنيا لئلا تعذبوا بنارها ﴿لا يَصْلَاهَا إلاّ الأَشْقَى﴾ لا يدخلها فيشوى بنارها إلاّ الكافر ﴿الَّذي كَذَّب وَتَوَلَّى﴾ الذي كذَّب بآيات القرآن وأعرض عنها ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ وسيبعد من النار ﴿الَّذي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الذي يعطي من ماله للفقراء وهو بذلك العطاء يتطهر من ذنوبه.

وأخيراً يوجّه اللّه الإنسان إلى درب التسامي والتجرد للّه وحده في كل الأعمال لأن ذلك هو السبيل الذي يرضاه اللّه له:

﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إلاّ ابتغاءَ وَجْهِ رَبِّه الأعلى. وَلَسَوْفَ يَرضَى﴾.

فاللّه سبحانه يثني على المحسن الذي لا يقصد بإنفاق ماله مكافأة أَحَدٍ على نعمة قد أسلفها إليه ولا انتظار الجزاء من أحد في المستقبل، وإنما ينفق أمواله ابتغاء وجه ربه، وثواب هذا المحسن هو رضاء ربه عليه، ولا أعظم من ذلك ثواب، وهو نهاية ما يطمح إليه الإنسان في الآخرة ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾والرضى يكون من اللّه ويكون من الإنسان، فيرضى اللّه عن الإنسان لحسن صنيعه، ويرضى هذا التقي برضاء ربه عليه، وما يعدّه له من النعيم السرمدي في الآخرة.

هذه الآيات قيل إنها نزلت في أبي بكر رضي اللّه عنه حين اعتق ستة او سبعة من الأرقاء بينهم بلال، ولم يبتغ ِ منهم جزاءً ولا شكوراً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

شرح المفردات

والضحى : الواو واو القسم ، الضحى : حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها

سجى : سكن باستقرار ظلامه .

ما ودعك : ما تركك .

قلى : أبغض وكره .

وللآخرة خير لك من الأُولى : أي ما أعده الله لك من النعيم في الدار الآخرة خير لك من هذه الحياة الدنيا .

ووجدك ضالاً : أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة .

عائلاً : فقيراً .

فأما اليتيم فلا تقهر : لا تغلب اليتيم على ماله وحقه ولا تستذله .

السائل : هو المستجدي الطالب للمال لفقره .

فلا تنهر : لا تزجره ولا تظلمه.

سُورَةُ الضُّحى

ايضــاح و دروس

سبب نزول هذه السورة هو إبطاء الوحي الإلّهي وانقطاعه مدة من الزمن[١] عن النبي ﷺ حتى شعر النبي بالحزن، وقال أعداؤه: قد قلاه ربه وودعه. أي أبغضه وتركه. فأنزل الله هذه السورة تواسي النبي وترد على افتراء أعدائه.

تستهل هذه السورة بالقسم بالضحى والليل إذا سكن ﴿**والضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى**﴾ والله سبحانه إذا أقسم ببعض مخلوقاته فإن ذلك إشارة إلى أنها من عظيم آياته، وهنا يشبه الله نزول الوحي عليه وانقطاعه بمنزلة الضحى إذا أضاء والليل إذا أظلم وسكن ودام. فالضحى والليل يتعاقبان دون أن يختل نظام الكون، وهكذا الوحي الإلّهي، فإشراق الوحي الإلّهي على قلب النبي أول مرة هو بمنزلة الضحى الذي يبتدىء فيه الناس بالحركة والنشاط في العمل، وما عرض بعد ذلك من انقطاع الوحي هو بمنزلة الليل إذا سكن، ثم يأتي بعده الضحى المتألق، أي استئناف نزول القرآن كسابق عهده.

وبعد هذا الإيحاء المستمد من الكون يجيء الخطاب من الله للنبي ﷺ

﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. ولـلآخرةُ خَيْـرٌ لَكَ مِنَ الأُولى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى**﴾.

---

(١) روي أن مدة انقطاع الوحي عن النبي ﷺ كانت خمسة وعشرين يوماً.

فاللّه سبحانه يقول: ﴿ما ودَّعك رَبُّـك وَمَا قَلى﴾ هنـا جواب القسم، أي ما تركك ربك ترك مودع ولا أبغضك منذ أحبك ﴿وللآخرة خَيْرٌ لَـكَ مِنَ الأولى﴾ أي ولـدار الآخرة التي أعـدها اللّه للمتقين يـوم القيامـة خيـر لـك يا محمد من هذه الحياة الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطيكَ رَبُّك فترضى﴾ ويشمل ذلك ما أعطاه اللّه من كمال النفس وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره وانتشار دعوة الإسلام والشفاعة لأمته يوم القيامة، ولما ادخر له من الثواب ما لا يعلمه إلا اللّه.

ثم يعدّد اللّه نعمه على نبيه ﷺ بقوله:

﴿أَلَمْ يَجِـدْكَ يَتيماً فـآوى﴾ فالنبي ﷺ كـان يتيم الأبـوين مـات أبـوه وهو جنين، وماتت أُمُّهُ وهو ابن ست سنين فجعل اللّه من يحنو عليـه فكفله جده عبد المطلب وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله عمه أبو طالب.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ فقد كان النبي ﷺ ضالاً غافلاً عما يراد به من أمر النبوة، لا تقنعه معتقدات قومه فهداه اللّه إلى منهج الحق بواسطة الوحي الإلٰهي.

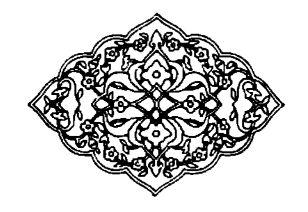
﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ اي ووجـدك فقيراً فـأغناك، فـالنبي ﷺ كان فقيراً لم يترك له والده من الميراث إلاّ ناقة وجارية فأغناه بما ربحه في التجارة وبما وهبته إياه زوجته خديجة من مالها.

وبرعايته تعالى للنبي وهو يتيم أمر اللّه سبحانه نبيه والمسلمين من بعده إلى رعاية حق كل يتيم، والنهي عن قهره وإذلاله ﴿فَأَمَّا اليتيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

كما أمر اللّه التلطف مع السائل المحتاج ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر﴾ أي فلا تزجره وتغلظ له القول وقد يـراد بالسـائل من يسـأل عن أحكام الـدين، أو مطلق سائل.

وأخيراً يخاطب اللّه نبيه بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّك فَحَدِّثْ﴾ فالنعمة هنا مراد بها ما تقدم ذكره من نعمة الإيـواء والهداية والإغناء. والتحدث بالنعمة: كناية عن بـذل المال للفقراء، وإعانة المحتاجين، وليس المراد بذلك مجرد ذكر الثروة فهذا من التفاخر الذي نهى اللّه عنـه. وقيل: النعمـة هي القرآن والتحدث به أن يقرأه ويبين حقائقه.

هـذه السورة كمـا تخاطب النبي ﷺ وتـواسيه، هي من جهـةٍ أخـرى تخاطب كل مؤمن. فالمؤمن الذي أحكم صلته بربه، وأخلص له عبادته إذا أصابته مصائب الدهر فلا يظن أن ربه أبغضه وتركه بل إن هذه المصائب هي اختبار لصدق إيمانه، وهي مدخل لرضوان اللّه عليه إذا صبر وتقبّلها برضىً محتسباً وجه ربه. وليعلم المؤمن أن الآخرة، وما فيها من نعيم مقيم دائم، خير من متاع الدنيا الزائل، ولسـوف يعطي اللّه المؤمن الصـابر من خيـري الدنيا والآخرة ما ترضى به نفسـه وتقرّ به عينه.





بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

شرح المفردات

ألم نشرح لك صدرك : ألم نوسع صدرك بنورنا وهدانا .

ووضعنا : حططنا وأسقطنا .

وزْرَك : الوزر هو الحمل الثقيل مادياً أو معنوياً .

أنقض ظهرك : أثقل ظهرك فأوهنه .

ورفعنا لك ذكرك : نوهنا باسمك (قرن الله اسم النبي ﷺ باسمه في التشهد والأذان) .

فإن مع العسر يسراً : العسر أشد المشقة والمكابدة ، واليسر ضد العسر ، ويأتي اليسر بمعنى الغنى .

فإذا فرغت فانصب : أي إذا فرغت من أمر دنياك فاجهد في عبادة ربك .

سُورَةُ الإنشِرَاح

ايضـــاح و دروس

هذه السورة تتحدث عن مكانة النبي ﷺ عند ربه وإعلاء ذكره، كما تبشره وتبشر المؤمنين بأن مع العسر يسراً كثيراً فلا يجدر بالإنسان أن ييأس من رحمة الله.

يستهل الله هذه السورة بخطابه للنبي ﷺ: ﴿أَلَمْ[1] نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي قد وسعنا لك صدرك يا محمد للهدى، والإيمان بالله، ومعرفة الحق، حتى احتمل هموم النبوة وأعباءها. هذه الآية تُشعر بأن النبي ﷺ كان في ضائقة نفسية قد تكون عبء الدعوة الإسلامية، وقد تكون في إعراض قومه عن الإسلام، وقد يكون ضلال الحيرة الذي كان يشعر به قبل إنزال الوحي عليه وقد أشار القرآن إلى ذلك: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ والوِزر: الحمل الثقيل ويأتي بمعنى الذنب. فالله حطّ وأسقط عن رسوله ذلك الحمل الثقيل الذي أثقل ظهره وهو عبء الدعوة الإسلامية وقد خفف الله عن نبيه ذلك العبء باستمالة قلوب الناس إليه، وتوفيقه إلى السيطرة على قلوبهم.

ثم يظهر الله فضله على نبيه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الرفع هو الإعلاء وهذا يكون حسياً، كما يكون معنوياً كارتفاع الدرجة والمنزلة وهو المراد به هنا، وحسب محمد ﷺ من رفعة الذكر أن اصطفاه الله رسولاً وقرن ذكره بذكر الله في الأذان والإقامة والتشهد وعدة مواضع في القرآن.

هذه الآيات السابقة مع أنها خطاب للنبي فهي في الوقت نفسه

---

(١) ألم: الاستفهام هنا تقريري، والاستفهام في الأصل طلب معرفة أمر مجهول، والله تعالى حين يسأل في القرآن لا يطلب الجواب فهو أعلم به ولكنه يسأل ليمنّ على عبده، أو يسأل وهو يريد الأخبار.

خطاب للمؤمنين تذكّرهم بنعمة اللّه عليهم وهي نعمة الإسلام الـذي يشرح صدورهم، ويزودهم بنور إلّهي يُذهب عنهم ضـلال الحيرة، ويخفف عنهم ما يشعرون به من ضيق نفسي يولده فراغ القلب من الإيمان والهدى.

وبعد ذلك تنتقل السـورة إلى البشرى لكل من يكابد مشقة من مشقات الحياة أو يعاني همّاً من همومها، بأن العسر يعقبه اليسر وأن كل ضائقة إلى انفـراج، وما أحـلاها من بشـرى تبعث على الطمـأنينـة وتخفف العنـاء عن النفوس المتعبة، وهذا ما صرح به القرآن: ﴿فَإِنَّ مَـعَ العُسـرِ يُسْـراً. إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً﴾ فالقرآن يؤكد اليسر بعد العسر بـ «إنّ» ثم يقوي التأكيد بتكرار الجملة مرتين نفياً للشك.

وهناك وجه آخر للتأكيـد: فإن العسـر معرّف بـالألف واللام، واليسـر نكرة، ومن عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرّفاً ثم كرروه فهو هو، وإذا نكروه فهو فرد مغاير لما أريد أولاً، أي أن القرآن على هذا المفهوم ذكر العسر مرّة، واليسر مرتين، ولهذا روي عن النبي ﷺ قوله: «لن يغلب عسر يُسرين».

وبعد أن عدّد اللّه نعمه السـابقة على نبيه أرشده إلى الشكر والاجتهاد في العبادة: ﴿فَإِذَا فَـرَغْـتَ فَانْصَبْ﴾ أي إذا فـرغت من أمر الـدنيا فقم إلى الصلاة. أو إذا فرغت من تبليغ الناس ما أُنزِلَ إليك من الوحي فاتعب بالعبادة شكـراً لما أولاك اللّه من النعم. ﴿وَإِلى رَبِّـكَ فَـارْغَب﴾ أي اجعـل نيتـك ورغبتك إلى اللّه.

وكذلك المؤمن عليـه أن يُشغل فـراغه بـالعبادة فهي تلهمـه الرشـد، وتزوده بالحكمة، وتثبت قلبه أمام المحن والمصائب، كما أن على المؤمن أن يجعل نيته ورغبته إرضاء ربه، هذا الهدف يُضفي عليه طمأنينة وسعادة في النفس، والفوز برضـاء اللّه ونعيمه في الآخرة.



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

شرح المفردات

والتين والزيتون : الواو للقسم ، فالله يقسم بهاتين الشجرتين لما فيهما من منافع شتى .

طور سينين : جبل موسى عليه السلام وهو بشبه جزيرة سيناء .

البلد الأمين : مكة المكرمة .

أحسن تقويم : احسن ما يكون صورة ومعنى .

أسفل سافلين : قيل المراد بذلك سلوكه المشين الذي يجعله أحط من الحيوان ، وقيل المراد بذلك عندما يخرف ويرد إلى أرذل العمر .

غير ممنون : غير مقطوع أو غير ممنون به عليهم .

أحكم الحاكمين : أعدل قضاء ، وقيل : أكثر حكمة .

سُورَةُ التّين

ايضــاح و دروس

يستهل الله هذه السورة بقوله :

﴿والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ[١]. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ الواو واو القسم. فالله أقسم بالتين والزيتون لما فيهما من منافع شتى.

وأقسم الله سبحانه بطور سيناء وهو الجبل الذي كلم عليه موسى عليه السلام وآتاه التوراة.

وأقسم الله سبحانه بهذا البلد الأمين وهو مكة المكرمة وفيها أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ بهذا القرآن.

وجواب القسم قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

فالله خلق الإنسان في أحسن تعديل لشكله وتسوية لأعضائه فيشمل ماله من انتصاب في القامة وحسن الصورة وجودة العقل وحسن البيان والتدبير وغير ذلك من الصفات ﴿ثم رددناه أَسْفَلَ سَافلين﴾ أي ثم رددناه بعد ذلك التقويم الحسن إلى أسفل من سفل في الخِلقة والشكل عند الهرم، حيث يتقوس ظهره بعد اعتداله، ويتجعّد وجهه بعد إشراقه، ويبيض شعره بعد اسوداده، ويضعف سمعه وبصره وتهن قواه، ويصير كالصبي في نقصان العقل، وربما أصابه الخرف.

وهذا ما ذكره القرآن : ﴿ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر﴾.

---

(١) قيل المراد بالقسم بالتين والزيتون القسم ببيت المقدس حيث تكثر هاتان الشجرتان والتي فيها أوحي الله لنبيه عيسى عليه السلام وآتاه الإنجيل.

وقد يكون المعنى: ثم جعلنا الكافر بعد هذا التقويم الحسن من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل خلقاً بعد أن كان على أحسن صورة.

أو بمعنى: ثم رددنا الكافر إلى النار التي هي درجات بعضها أسفل من بعض.

ثم يبين القرآن صفات الحائزين على رضاء الله:

﴿إلاّ الذين آمنوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ فَلَهُم أجْرٌ غير ممنُون﴾.

فاللّه استثنى الذين صدقوا بوجود اللّه ووحدانيته وأطاعوه فيما أمرهم به من الأعمال الصالحة وانتهوا عما نهاهم عنه من عذاب النار، فهؤلاء لهم ﴿أجْرٌ غَير مَمْنُونٍ﴾ أي لهم ثواب من اللّه غير مقطوع ولا منقوص أو غير ممنون به عليهم.

وقد يراد بهذا الاستثناء أن الإنسان إذا كان يعمل بطاعة اللّه في شبابه ثم كبر حتى ذهب عقله وأصابه الخرف كُتِبَ له مثل عمله الصالح الذي يعمله في شبابه، ولم يؤاخذ بشيء مما عمل في كبره وذهاب عقله.

ويختم اللّه هذه السورة بقوله:

﴿فَمَا يكذِّبُكَ بعد بالدين. أليْسَ اللّهُ بأحكم الحاكمين﴾.

أي فمن يكذبك يا محمد بيوم الجزاء في الآخرة بعد هذه الحجج التي جاءتك من اللّه؟ فإن خلق الإنسان في أجمل شكل وأبدع صورة من أوضح الدلائل على قدرة اللّه على البعث والجزاء ﴿أَلَيْسَ اللّهُ بأحْكَمِ الحاكمين﴾ أي أليس اللّه بأحكم من حكم في أحكامه وفصّل قضاءه بين عباده. وقد روي أن النبي ﷺ كان إذا قرأها قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾

شرح المفردات

إقرأ باسم ربك : اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ .

علق : دم جامد .

الأكرم : الذي زاد كرمه وفضله على كل كرم .

كلا : بمعنى حقاً .

ليطغى : ليجازو الحد في العصيان والكفر .

ان رآه استغنى : حين رأى نفسه ذا غنى وثراء وقوة .

التقوى : حفظ النفس عمّا يؤثم وذلك بترك المحظور .

تولّى : ذهب دون أن يصغي للدعوة ويهتم بها .

لَنَسْفَعاً : نلطمه ونجذبه بشدة .

الناصية : شعر مقدمة الرأس ، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان .

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾

شرح المفردات

كاذبة خاطئة : كاذبة في قولها خاطئة في فعلها .

فليدع نَادِيه : فليدع أهل مجلسه وعشيرته ليستنصر بهم .

الزبانية : الملائكة الموكلون بعذاب الخاطئين في جهنم .

سُورَةُ العَلَق

ايضاح و دروس

في هذه السورة دعوة إلى القراءة والتعلم وبيان فضل اللّه على الإنسان مع بيان أن الثراء والقوة قد يدفعان الناس إلى الطغيان ومجاوزة حدود اللّه .

وهذه السورة أول ما نزل من القرآن، نزل بها جبريل على رسول اللّه محمد ﷺ وهو معتكف في غار حراء فعلمه خمس آيات منها، ثم علّمه بقيتها بعد ذلك، وهذه الآيات هي قوله تعالى :

﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ . خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ . الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .

ومن المدهش أن تكون كلمة (إقرأ) أول ما استهل به الوحي الإلٓهي إلى محمد النبي الأمي المبعوث في قوم أميين يسيطر عليهم الجهل والوثنية، بعيدين عن مظاهر الحضارة المادية والفكرية، فلفظ (إقرأ) دعوة إلى القراءة والعلم، وهذا يوضح لنا أن الإسلام اتصف منذ اللحظة الأولى بالطابع العلمي، وجاء ليمحو الجهل وينشر القراءة والمعرفة .

وهذه القراءة أمر اللّٰه أن تكون ﴿باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ﴾ وهذا نص على أن القراءة لا تكون باسم وطن أو زعيم أو أي دافع آخر بل القراءة باسم الرب الخالق لجميع الخلق، وإذا تجردت القراءة والمعرفة للّٰه تعالى كانت خيراً في كل الحالات.

ثم يقول سبحانه: ﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فالعلق هو الطور الثاني من تكوين الجنين، وسيأتي الكلام عنه. فالقرآن يوجّه نظر الإنسان إلى مصدر خلقه، ثم كيف تدرج في الخلق والتكوين إلى أن أصبح بشراً كاملاً سويّاً، فهذا التنقل يشهد بهذه القدرة الإلٓهية المبدعة، وانتفاء ادعاءات الذين يقولون قيام الكون على المصادفة والمادة العمياء.

ويتابع اللّٰه قوله: ﴿إقرأ وَرَبُّكَ الأكرم﴾ ففي وصف اللّٰه بالأكرم في معرض القراءة، دليل على أن المعرفة أسمى عطايا اللّٰه.

وفي قوله سبحانه بعد ذلك: ﴿الذي علَّم بِالقلم. عَلَّم الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ إشادة بالقلم وبيان لأهميته، فالقلم كان وما يزال الأداة الأولى من أدوات التعلم ونشر المعرفة، ولم تكن هذه الحقيقة بادية للعيان منذ أربعة عشر قرناً ـ عهد نزول القرآن ـ كما هي بادية في هذا العصر حيث أُنشئت المعاهد والجامعات وانتشرت العلوم والمعارف وكان القلم وسيلتها. ولبيان قيمة القلم وأثره في نشر العلم والحضارة أشار إليه سبحانه في أول نزول القرآن، ومن الجدير بالذكر أن محمداً كان أميّاً ولم يكن كاتباً بالقلم، وفي هذا دليل على أن القرآن وحي إلٓهي.

ثم يصف اللّٰه سبحانه بعض خصائص الطبيعة البشرية:

﴿كَلَّا إنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى أنْ رآهُ اسْتَغْنَى﴾.

كلا: هنا بمعنى حقاً، اي حقاً إن الإنسان ليتجاوز الحد في الكفر والعصيان إذا رأى نفسه غنياً بالمال والثروة. أو بمعنى: ردع وزجر لمن يكفر ويطغى عند الغنى.

فالمال، غالباً، مدعاة لطغيان الأفراد والجماعات بعضهم على بعض، وهذه حقيقة يعلنها القرآن ويصدقها الواقع في كافة العصور، فالمال يفسد نفوسَ كثيرٍ من الناس إذ أنه يفتح باب الشهوات على مصراعيه، والشهوات تؤدي إلى طغيان الإنسان وفساده.

وإذ يوضح القرآن هذه الحقيقة عن طبيعة الإنسان يبيّن أن المرجع للّه وحده ﴿إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ فلا مفر ولا مهرب للإنسان، وفي هذا تحذير له وتهديد لعله يقلع عن طغيانه.

ومما يلفت النظر هو الربط بين العلم والغنى المؤدي إلى الطغيان، وفي ذلك نبوءة للقرآن تحققت في هذا العصر، فالعلم الذي هو سبب التكريم وسبب المعرفة قد ينقلب إلى كفر وطغيان، وهذا ما نشاهده اليوم في كثير من الأفراد وبعض الدول في عصرنا الحاضر، عصر العلم، إلاّ من فتح اللّه بصائرهم على حقيقتهم الإنسانية.

ثم ينتقل القرآن إلى إنذار الذين يصرفون الناس عن عبادة اللّه معطياً مثالاً بذلك بأبي جهل الذي قال اللّه فيه ﴿أرَأَيْتَ الَّذي يَنْهَى. عَبْداً إذَا صَلَّى﴾ فالناهي هو «أبو جهل» والعبد المصلي هو محمد ﷺ فهاتان الآيتان وما بعدهما نزلت في أبي جهل حين قال: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ عنقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً» أي أمام أعين الناس.

ويتابع القرآن إنذاره لهـذا الذي ينهى عن الصـلاة: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ أي أخبرني عن حال هذا الطاغي الناهي عن الصلاة لو كان على الهدى، أو أمر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له وأفضل من الكفر بالله ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى. أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّه يَرَى﴾ وأخبرني عن حاله إن كذّب بالإسلام وأعرض عن العمل الصالح ألم يعلم بعقله بأن الله يرى منه هذه الأعمال فيجازيه عليها.

ثم يأتي هذا التهديد الرباني لهذا الطاغي: ﴿كَلَّا، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾ سفع: جذب وأخذ، والناصية: شعر مقدم الرأس، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان أو الرأس. والمعنى: زجر لأفعال أبي جهل لئن لم يكف عن إيذاء محمد فسيأمر الله ملائكته بالأخذ بناصيته وسحبه بها إلى النار في الآخرة، وفي ذلك ما فيه من الإذلال الشديد له ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ هذه الناصية التي كذب صاحبها بنبوة محمد ﷺ وانغمس بالكفر والمعاصي.

ومشهد آخر لطغيان أبي جهل يتمثل فيما كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام (أي مقام إبراهيم) فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد: ألم أنهك عن هذا؟ وتوعّده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال أبو جهل: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ والنادي هو المكان الذي يجلس فيه القوم من الأهل والعشيرة. أي فليدعُ أبو جهل أهل نادية من عشيرته وقومه لينتصر بهم، سيدعو الله ملائكة العذاب لتلقيه في جهنم يوم القيامة.

ثم يخاطب الله رسوله محمداً ﷺ: ﴿كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ كلا: ليس الأمر كما يقول أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة له ﴿لا تطعه﴾ فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ واسجد

لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته فإن أبا جهل لن يقدر على ضرّك.

فالسجود لله أعلى مراتب العبودية له، وفي السجود تعلو منزلة الإنسان عند الله ويكون من المقربين له، وقد روي عن النبي ﷺ قوله: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[١].

وفي القرآن كثير من الآيات التي تحثُّ على السجود لله، وإن من واجبات المؤمن الذي خالط الإيمان شغاب قلبه، واستشعر عظمة ربه أن ينفعل إذا أُمِرَ بالسجود لله فيخر على الفور ساجداً لله إقراراً بالعبودية له، هذه العبودية التي قوامها الحبّ لله والشكر له، ولهذا شُرع في الإسلام لمن قرأ آية في القرآن فيها سجود أو سمعها أن يكبّر ويسجد سجدة ثم يكبّر للرفع من السجود، وهذا ما يسمى سجود التلاوة.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

التفسيرُ العِلمي

يقول تعالى في مصدر خلق الإنسان: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

العلق جمع علقة، وقد ذهب المفسرون إلى أن العلق هو الدم الجامد، والحقائق الثابتة في علم الأجنة تسمح بتفسير العلق بما يعني: أنه نشب فيه وتعلق واستمسك، وهو ما يحصل في الفترة الثانية من حياة الجنين حيث تلتصق الخلايا بجدار الرحم، وهذا هو المراد بالعلق أي التعلق.

ولقد ذكر القرآن الفترة الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ فالنطفة هي منيّ الرجل الذي يحتوي على الخلايا الحية أو الحييات المنوية، وأحد هذه الحييات الذي يصل إلى بويضة الأنثى يَتَّحِد ويمتزج بها، وهذه أول عملية تكوين الجنين، ثم يعقب ذلك تكاثر الخلايا التي تلتصق وتتعلق بجدار الرحم وهذه هي الفترة الثانية من حياة الجنين التي سماها القرآن علقة.

وهناك تفسير حديث مأخوذ من اللغة، فمن معاني العلق في اللغة الدودة التي تعيش في الماء، وقد أثبت العلم أن منيّ الإنسان هو سائل يحوي حيوانات صغيرة لا ترى بالعين المجردة وترى بالمجهر، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، فيقول سبحانه: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي أن الإنسان خُلق من هذه الحييات التي تشبه العلق شكلاً، وقد أطلق عليها اسم العلق ليقرّبها إلى عقول البشر بهذا التشبيه.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

شرح المفردات

إنّا أنزلناه في ليلة القدر : أي ابتدأنا إنزال القرآن في ليلة عظيمة القدر والشرف .
ليلة القدر خير من ألف شهر : أي العبادة فيها خير من ألف شهر في سواها ، .
الروح : هو الملك جبريل الذي كان يبلغ الوحي الإلهي للنبي محمد ﷺ .
من كل أمر : أي من أجل كل أمر قدّره الله وأراده .
سلام هي مطلع الفجر : أي ليلة القدر هي أمن وسلام وخير كلها لا شر فيها . وقيل : تسلّم الملائكة على المطيعين العابدين حتى طلوع الفجر .

ايضاح و دروس

جرت العادة عند كثير من الأمم أن تحتفل بذكرى عظمائها أو فتوحاتها أو دساتيرها ، أو أية مناسبة أخرى فيها فخر لها ، فتجعل من هذه الاحتفالات مناسبات للفجور وشرب الخمور وغير ذلك .

والإسلام يريد أن يقدّم لأتباعه أنموذجاً خاصاً بالاحتفال بالدستور الإلٓهي الذي يسيرون بموجبه ـ ألا وهو القرآن ـ هذا الاحتفال الجدير أن يكون بالعبادة التي تهذب القلب وتُرهف الوجدان ، وتصلهم بالله العلي

القدير وذلك بقيام ليلة القدر بعبادة اللّه.

فاللّه سبحانه ـ بهذه السورة ـ يذكّر المسلمين بالنعمة التي أفاضها عليهم بنزول القرآن الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي في ليلة القدر ابتدأ نزول الوحي الإلّهي على النبي ﷺ، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان، ويؤيد هذا ما جاء في القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى للنَّاسِ﴾ البقرة: ١٨٥.

وقيل المراد بالإنزال أنه سبحانه أنزل القرآن جملةً واحدةً في ليلة القدر من رمضان إلى السماء الدنيا ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع والحوادث في ثلاث وعشرين سنة على النبي ﷺ بواسطة الملك جبريل عليه السلام، وكان النبي ﷺ يبلّغ ما أنزل عليه من الوحي إلى أمته.

وسميت بليلة القدر لعظمها وشرفها، فالقدر بمعنى العظمة والشرف. ثم يضيف اللّه قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا الاستفهام فيه تفخيم لشأنها، أي أن علو قدرها خارج عن دراية الخلق لا يدريها إلا اللّه سبحانه.

ثم يبين اللّه مدى ثواب العمل الصالح في ليلة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي العمل الصالح في ليلة القدر، وقيام الليل بالعبادة فيها خير من العمل والعبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، واختيار الليل هنا لأنه الوقت الذي تكون فيه العبادة للّه وحده، فالذي يرائي بعبادة اللّه لا يمكن أن يقوم الليل، ولكن الذي يقوم الليل هو الخاشع للّه سبحانه المؤمن به.

ثم يبين اللّه ما تمتاز به ليلة القدر من المزايا العظيمة:

﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

أي تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض في تلك الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي بأمر ربهم ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ من أجل كل أمر قدّره الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة، ففيها تقضي الأمور، وتقدّر الآجال والأرزاق ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي ليلة القدر سلام كلها لا شرّ فيها، ويدوم السلام فيها إلى طلوع الفجر. وقيل: إن الملائكة في هذه الليلة تسلم على المطيعين العابدين لله حتى طلوع الفجر.

فليلة القدر كلها خير وبركة فلا يليق بالمؤمن أن يفوته خيرها وبركتها ولهذا روي عن النبي ﷺ قوله: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

وقيامها هو الاجتهاد في العبادة من صلاة ودعاء واستغفار وقراءة للقرآن.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه كان يجاور[٢] في العشر الأواخر من رمضان ويقول: تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان[٣].

كما رُوي عن النبي ﷺ قوله: (تحرّوا لَيْلَة القَدْرِ في الوتر من العَشْرِ الأواخر مِنْ رَمضان)[٤] أي ليلة ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٢٩ ـ وعدم تعيين ليلة القدر بيوم على التحديد من العشر الأواخر من رمضان فيه حثٌ للمؤمن وترغيب له على مواصلة عبادة الله في هذه الأيام العشرة الأخيرة من رمضان، لينال الفضل والقربي من الله، مع ما في ذلك من سكينة للنفس، وتصفية للروح.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) يجاور: يعتكف، والاعتكاف هو المكوث في المسجد للعبادة.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ
قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ

شرح المفردات

أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى .

والمشركين : هم وثنيو العرب .

منفكّين : منتهين أو زائلين عن كفرهم .

البينة : الحجة القاطعة المبينة للحق ، والبيّنة هنا رسالة النبي محمد ﷺ

صحفاً مطهرة : هي صحف القرآن المبرأة من الضلال والبدع .

كتب قيّمة : كتابات قيمة ، والقيّمة هي المستقيمة المشتملة على الحق .

مخلصين له الدين : موحدين لا يعبدون سواه .

حنفاء : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام .

دين القيّمة : دين الأمة المستقيمة القائمة على الحق .

ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

شرح المفردات

شرّ البريّة : شر الخلق .

آمنوا : صدّقوا بكل ما جاء به النبي ﷺ عن ربه .

جنات : جمع جنة وهي كل بستان يستر بأشجاره الأرض .

عدن : استقرار واطمئنان .

سُورَةُ البيِّنة

ايضـاح و دروس

كان العالم في عهد بعثة محمد ﷺ في حاجة ماسة إلى رسالة اللّه، فقد عمّ الفساد أرجاء الأرض، وكان الكفر والباطل والبدع قد تطرقت إلى عقائد أتباع الديانات كلها، سواء اليهود أو النصارى، فضلاً عن المشركين في جزيرة العرب الذين عبدوا الأوثان بجانب عبادتهم للّه.

وكان أهل الكتاب من اليهود يذكرون للمشركين من العرب إن اللّه سيبعث نبياً من العرب بمكة يقيم الحق وينشر العدل مسترشدين ببعض المبشرات بنبي جديد أشارت إليه كتبهم، وكانوا يتوعدون العرب بأنه متى جاء نصروه واستنصروا به عليهم، وكان المشركون يترقبونه أيضاً ويقولون لخصومهم : إذا جاء فنحن أولى به منكم.

فلما بعث اللّه محمداً قام المشركون في وجهه وعاندوه، وقام أهل الكتاب أيضاً ينازعونه ويخاصمونه، مع أن أمارات نبوته ووصفه موجودة في

كتبهم[١]، ولكن الكفر قد أعمى قلوبهم وصرفهم عن اتباعه والإيمان به.

ففي بيان هذا الواقع، ورحمة من الله الذي أراد إصلاح ما طرأ على الأرض من فساد نزلت هذه السورة الكريمة التي تُستهل بقوله تعالى:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَة. رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾.

والمعنى: لم يكن أهل الكتاب ـ وهم اليهود والنصارى ـ والمشركون منتهين عما هم عليه من الكفر ولا متبعين الحق إلاّ بواسطة رسول الله محمد ﷺ الذي هو في ذاته (بيِّنة) أي حجة قاطعة، ورسالته هي الحق الواضح، فهو يتلو صحفاً من القرآن مطهرة من الشرك والكفر ﴿فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي مكتوب في هذه الصحف أحكام قيمة تبين الحق من الباطل.

ثم بَيَّنَ القرآن أن اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب لم يختلفوا إلاّ بعد مجيء أنبيائهم الذين جاءوا بالدلائل الواضحة على وحدة الدين:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَة﴾.

ولقد أوضح القرآن سبب هذا الخلاف في موضع آخر ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُم﴾ الشورى: ١٤. فالبغي من رؤسائهم هو سبب الخلاف، والبغي هو التكبر والخروج عن الحق إلى الباطل كل ذلك بسبب الرئاسة ونيل المغانم والمكاسب.

فاليهود انقسموا شيعاً وأحزاباً مع أن رسولهم هو موسى وكتابهم هو التوراة، والنصارى اختلفوا حول طبيعة المسيح وألّهوه، كما دارت

---

(١) ورد في كتاب (إظهار الحق) لمؤلفه رحمة الله الهندي كثير من المبشرات التي وردت في التوراة والإنجيل والتي تنطبق على صفات محمد عليه السلام.

خلافات بين اليهود والنصارى أدت إلى قتال مرير.

ثم بيّن الله أن الدّين الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وأمر اليهود والنصارى به هو واحد لا مجال للاختلاف فيه:

﴿وَمَا أمروا إلاّ لِيَعْبُدوا اللّه مخلصِينَ لَهُ الدين حُنفاء وَيُقيموا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَكَاةَ[١] وَذَلِكَ دِينُ القَيّمة﴾.

أي وما أُمر هؤلاء اليهود والنصارى إلاّ أن يعبدوا اللّه مخلصين له الدين، فلا يخالط عبادتهم له شِركٌ ﴿حنفاء﴾ أي مائلين عن العقائد الباطلة إلى توحيد اللّه، وأُمروا بأن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس ﴿وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ وذلك كله دين الأمة المستقيمة العادلة، وهو الدين الذي بعث اللّه به رسوله محمداً ﷺ.

بعد تقرير هذه الحقيقة يصنف القرآن الناس إلى قسمين أمام هدى اللّه:

﴿إنَّ الَّذِين كفروا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمشْرِكينَ في نَارِ جَهَنّم خَالِدينَ فيها أولئكَ هم شَرُّ البَرِيّة. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة﴾.

فالذين كفروا باللّه وأشركوا به وجحدوا نبوة محمد من اليهود والنصارى والمشركين من العرب هم في الآخرة في نار جهنم ماكثين فيها أبداً لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ليخفف من عذابهم وأولئك هم ﴿شرُّ البريَّة﴾ أي شر الخليقة لأنهم أبوا أن يقروا بالحق وينصاعوا للهدى. وأما الذين صدقوا بوجود اللّه ووحدانيته واتبعوا رسوله محمداً فيما جاء به من عند

---

(١) خص اللّه الصلاة والزكاة دون سائر التكاليف لشرفهما.

اللَّه من الوحي فأطاعوه وعملوا بصالح الأعمال أولئك هم ﴿خَيْرُ البرِيَّة﴾ أي خير الخليقة.

والجدير بالذكر أن الإيمان يقرنه القرآن دائماً بالعمل الصالح، لأن الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل. والعمل الصالح هو كل ما أمر اللَّه بفعله من عبادة وخُلُقٍ وعمل. فالذين يؤمنون حق الإيمان بخالقهم تصبح حياتهم مرآة لشرائعه.

ثم يبين القرآن مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة:

﴿جَزَاؤُهُم عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

فاللَّه سبحانه يقول: ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي بساتين فيها استقرار واطمئنان تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ أي ماكثين فيها أبداً لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿رَضِيَ اللَّه عَنْهُم﴾ بما أطاعوه في الدنيا، هذا الرضى يملأ نفوس المؤمنين حبوراً وطمأنينة ويضفي عليهم غاية السعادة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم اللَّه من جزيل الإنعام وجليل الإحسان بما يطيبون به نفساً ويقرّون به عيناً ﴿ذَلِك لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ إن ذلك الجزاء الحسن من اللَّه لا يناله إلاّ الذين يخشون ربهم، فخشية اللَّه هي ملاك السعادة الحقيقية والفوز بالمراتب العليا في الآخرة.

والشعور بخشية اللَّه يدفع إلى كل صلاح وينهى عن كل شرّ وانحراف، وما أصيب العالم بالويلات والكوارث إلاّ عندما فرغ القلب من خشية اللَّه الديّان، واستبد بالإنسان الظلم والطغيان.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ
الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

شرح المفردات

زُلْزِلَت : اهتزّت بشدة واضطربت .

وأخرجت الأرض أثقالها : أخرجت الأرض ما في جوفها من الدفائن والكنوز والموتى .

أوحَى لها : الوحي هو الإشارة السريعة مع الخفاء ، فإن كان الموحى إليه من المخلوقات فهو إلهام وإن كان جماداً فهو تسخير .

يَصْدُرُ : يعود الناس بالبعث .

أشتاتاً : متفرقين ، فأهل الإيمان على حدة وأهل الكفر على حدة .

مثقال ذرّة : ثقل الذرة ، أي الوزن المتناهي في الضآلة والخفة والصغر .

ليُرَوْا أعمالهم : ليبصروا جزاء أعمالهم خيراً كان أم شراً .

سورة الزلزلة

ايضــاح و دروس

هـذه السـورة تصـور أحوال يـوم القيامـة وما فيهـا من أحداث مـروعة ومجازاة الناس على أعمالهم يومئذٍ بمنتهى العدالة الإلٓهية.

تـستهل هذه السـورة بذكر بعض أهوال القيامة:

﴿أذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها. وأخْرَجَتِ الأَرضُ أثْقَالَهَا. وَقَالَ الإنْسَانُ مَالَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبكَ أوْحَى لَهَا﴾.

فيوم القيامة تزلزل الأرض وهي أشد العوارض الطبيعية التي تثير الهلع والرعب في القلوب، ولا يقتصر ذلك على الزلزال ولكن الأرض تخرج أيضاً ما في جوفها من دفائن ومـوتى وكنوز ومعـادن، وهذا ممـا يصور الإنقـلاب الهائل في طبيعـة الأرض الذي يفـاجأ بـه الإنسان ويجعله يتسـاءل في هلع وخوف: ما جرى للأرض ﴿يومئذٍ تُحدّثُ أخبَارَهَا﴾[1] أي يومئذٍ تحدّث ما عمل البشر على ظهرها من خير أو شر، قيل إن اللّه ينطقها فتخبر بذلك ﴿بأنَّ ربَّك أوحى لَهَا﴾ بأن ربك ـ أيها الإنسان ـ هو الذي سخرها بذلـك فـارعت إلى امتثال أمره.

ثم تأتي الصورة الثانية وقد انصرف الناس عن موقف الحساب:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.

أي يومئذٍ ينصرف الناس عن موقف الحساب أنـواعاً وأصنـافاً مـا بين

---

(١) قرأ رسول اللّه هـذه الآية فقـال: «أتدرون مـا أخبارهـا قالـوا (أي الصحابـة) اللّه ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذاوكذا فهذه أخبارها» رواه الترمذي.

شقي وسعيد ﴿لِيُرَوْا أعمالهم﴾ ليروا جزاء أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا المطيع للّه عمله وما أعد اللّه له من الكرامة، ويرى المسيء العاصي للّه عمله وما أعد اللّه له من الهوان والخزي في جهنم.

ثم يبيّن اللّه للإنسان غاية البعث وعدالة الجَزَاء في الآخرة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

أي من عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه في الآخرة، ومن عمل وزن ذرة من شرّ يرى جزاءه هنالك.

هذا هو الحساب العادل الذي يكافىء اللّه به عباده في الآخرة فلا ظلم ولا انتقاص من عمل أحد، ولا محاباة ولا وساطات كما يحصل في الدنيا.

هذا المفهوم العادل للجزاء يُدخل العزاء إلى قلوب المؤمنين الذين يقاسون من ظلم الآخرين واضطهادهم. فالناظر في هذه الحياة يرى الخير والشر يتصارعان، وقد ينتصر الشر على الخير، والإنسان المؤمن يعز عليه أن لا ينال الخير ثوابه وأن لا يلقي الشر عقابه فهنا يخبرنا اللّه سبحانه بأنه مهما عمل الإنسان من الأعمال ولو كان هذا العمل في نهاية الدقة من الصغر فاللّه سبحانه سيحاسبه عليه يوم القيامة وسيلقى الجزاء العادل آنذاك.

وفي هذه السورة إيحاء للمؤمن بأن يقدم على فعل الخير ولو كان في نهاية القلة، فإن هذا القليل لن يضيع عند اللّه، وقد حث النبي محمد ﷺ على عمل الخير كثيره وقليله، فدعا حتى إلى نزع الأذى عن الطريق فقال: (وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[1] وبيّن ثواب الإحسان إلى الفقير ولو بأقل القليل فقال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة)[2] يطعم بها الجائع.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه النسائي والإمام أحمد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾
فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ
لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

شرح المفردات

والعاديات : الواو واو القسم ، والعاديات هي خيول المجاهدين التي تعدو نحو العدو .

ضبحاً : الضبح أصوات أنفاس الخيل عندما تعدو .

المغيرات صبحاً : التي تُغير على العدو وقت الصبح .

الموريات قدحاً : تقدح الشرر عند صك حوافرها بالحجارة عند العدو .

فأثرن : اظهرن وهيجن .

نقعاً : غباراً .

فوسطن به جمعاً : دخلن وسط جمع من الأعداء ففرّقنه وشتّته .

كنود : كفور لنعم ربه عليه .

وإنّه على ذلك لشهيد : أي إن الإنسان يشهد على نفسه بذلك ، وقيل الضمير عائد إلى الله أي إن ربه شاهد عليه .

وإنه لحب الخير لشديد : الخير هو المال ، أي إن الإنسان مفرط في حب المال .

لَشَدِيدٌ ⑧ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

شَرح المفـردَات

بُعثر ما في القبور : بُعِث وأُخرِج ما في القبور من موتى .

حُصِّل ما في الصدور : أظهر وأبرز ما أضمروه في صدورهم .

سُورَة العَادِيَات

ايضـــاح و دروس

كانت الخيل مركب الحرب[1] في عصر النبوة وما بعدها، وأثبتت المعارك أهمية الفروسية في إحراز النصر، فأعظم الفتوحات في التاريخ كانت ترتكز على الفروسية، ولهذا اعتنت بها الشعوب قديماً أشد الاعتناء لما كان لها من أثر فعال في إحراز النصر.

ولقد أقسم الله في هذه السورة بالخيل تنويهاً بشأنها، وإعلاءً من قدرها في نفوس المؤمنين ليسارعوا إلى اقتنائها، ويحرصوا على العناية بها، والتدرب على ركوبها، وليكونوا مستعدين للجهاد في سبيل الله، فقال سبحانه :

﴿وَالعَادِيَاتِ ضَبْحاً. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

---

(١) كانت الخيل مركب الحرب في عصر النبوة وما بعدها فإذا تغير الزمان وصار مركب الحرب سفناً حربية وطائرات ودبابات كما في هذا العصر، لذا وجب على المسلمين أن يعدوا ذلك.

﴿وَالعَادِيَاتِ﴾ أقسم الله بخيل الغزاة في سبيل الله تنبيهاً على فضلها ﴿ضَبْحاً﴾ هو صوت أنفاس الخيل عند عدْوها وجرْيها ﴿فَالمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ أي الخيل التي تضرب الأرض بحوافرها قادحة فيها شرر النار من شدة الجري ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ هي الخيل تغير في الصبح[1] حيث لم يأخذ العدو أهبة لرد الهجوم ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ مثيرة بذلك الغبار من شدة العَدْو ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ أي صارت وَسَط جموع الأعداء ففاجأتهم على حين غرة ونشرت فيهم الرعب والذعر وأدت بهم إلى الهزيمة.

وجواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي لكفور جحود لنعم ربه، ويتمثل ذلك في مظاهر شتى تبدو منه أفعالاً وأقوالاً فتقوم عليه مقام الشاهد كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أو بمعنى أن الله شاهد على كفره ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ والخير هنا هو المال، والشديد: هو البخيل الممسك، فالإنسان مفرط في حب المال بخيل به إلى درجة تنسيه كل معاني الخير والرحمة.

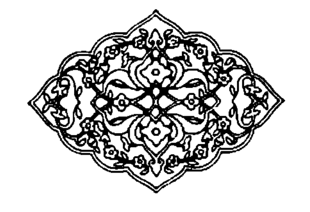
وإن صفات الخيل الواردة في مطلع السورة تنعكس على صورتين في آخرها ليتم التوازن والتناغم بين المطلع والخاتمة. هاتان الصورتان هما:

صورة المحب للمال، الكفور بنعمة ربه حيث تتجمع فيه خصال أبرزها جموح في القلب، وعنف في الطبع، وشراسة في الخلق، وغرور في النفس، واغترار بالقوة، وهذه كلها أوصاف الخيل حين عدوها.

---

(١) يقول الطبري: أقسم الله بالمغيرات صبحاً ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة فكل مغيرة صبحاً داخلة فيما أقسم به.

وصورة مفاجأة الخيل للأعداء وإيقاع الهزيمة بهم، فكذلك البعث يوم القيامة يفاجىء الإنسان الكافر الجاحد لنعم ربه المفرط في حب المال. فيقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ تهديد ووعيد له، بمعنى أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم مآله إذا أُخرج من في القبور من موتى أحياء للحساب ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي جُمعَ ما في القلوب من خير أو شر مما يظن الإنسان أن ما يضمره ويخفيه سرٌّ لا يعلمه أحد، وأظهر كل ذلك مكتوباً في صحائف الأعمال، أو بمعنى مُيِّز خيره من شره ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ إن ربهم عالم بجميع ما كانوا يفعلون في دنياهم وما أسرّوه في صدورهم لا تخفى عليه خافية فيجازي كل إنسان على عمله.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

شرح المفردات

القارعة: من أسماء القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع .

وما أدراك ما القارعة : وأي شيء يعرّفك بها ، ما أعظمها ، وأهولها .

الفراش : الحشرة التي تترامى على ضوء السراج ليلاً .

المبثوث : المنتشر .

العهن المنفوش : الصوف المندوف ذو الألوان المختلفة .

ثَقُلت موازينه : زادت حسناته بالأعمال الصالحة .

عيشة راضية : حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى .

خفَّت موازينه : قلَّت حسناته فرجحت السيئات على الحسنات .

أُمُّهُ هَاوية : مأواه النار ، والهاوية من أسماء النار لأن العصاة يهوون فيها .

سُورَةُ القارعَة

ايضــاح و دروس

هؤلاء النـاس الممعنـون في ضـلالهم، المنغمسـون في آثـامهم، والمعرضون عن ربهم، الذين جعلوا الدنيا همهم الأوحد، فأطلقوا لشهواتهم العنان، هؤلاء وغيرهم يخاطبهم الله بأن هناك حياة أخرى يثاب الناس فيها بمـا عملوا في الحياة الـدنيا، وإن مصيـر الناس في الآخـرة إمـا إلى شقـاء أو نعيم.

تستهل هذه السورة بذكر القيامة والتهويل من شأنها:

﴿القَارِعةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.

سُميت القيامة بالقارعـة لأنها تقـرع القلوب بالهـول والفزع. فـالقرع هو الضرب بشـدة، ثم سـميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة ﴿مَا الْقَارِعَة﴾ أي شيء هي القارعة؟ وهذه التسمية يراد بها تعظيم أمر القيامة والتهويل من شأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَـارِعَة﴾ تـأكيد لهـولها وفـظاعتها ببيـان خروجها عن دائرة علوم الخلق بحيث لا يبلغها دراية أحد.

ثم يعرض القرآن مشهدين من مشاهد القارعة: مشهداً للناس ومشهداً للجبال. فمشهد الناس يتراءى عندما يخـرجون من قبـورهم أحياء فـزعين: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي يكون الناس كالفراش المنتشر، بسبب اضطرابهم وحيرتهم، فـالفراش عنـدما يثـار من الفزع لا يتجـه لجهةٍ واحدة، بل يتطاير في كل الاتجاهات.

وأمـا مشهد الجبـال فيصفه القـرآن بقولـه: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَـالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُـوشِ﴾ أي تكون الجبـال كالصـوف المندوف ذي الألـوان المختلفة،

وهذا كناية عن تفتتها وتفرق أجزائها وتطايرها في الجو، قد يكون ذلك ـ والله أعلم ـ من تأثير فعل جاذبية القمر أو أي كوكب آخر، فيكفي أن يقترب القمر من الأرض ـ بأمر الله ـ أو أي كوكب آخر غير النسبة المعهودة فتحدث هذه العوارض الطبيعية بفعل الجاذبية، ويكون ذلك إيذاناً بأمارات يوم القيامة. وإذا كان ذلك شأن الجبال في ذلك اليوم مع صلابتها وشدة تماسكها، فما هو حال الإنسان مع ضعفه.

بعد هذه الصورة المروعة من مشاهد القيامة يبين القرآن مآل الناس في ذلك اليوم وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء، واصفاً أعمالهم الصالحة والسيئة بالأشياء المادية التي لها وزن ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي من رجحت حسناته على سيئاته فهو في حياة طيبة في الجنة، ورضا من الله تعالى عليه، وهو مع ذلك راض بما أعطاه ربه من النعيم.

ومن خفَّ ميزان حسناته ورجحت كفة سيئاته فمصيره جهنم ﴿وأَمَّا مَنْ خَفَّت مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قيل أمه على سبيل التشبيه لأن الأم هي مأوى الوليد يلجأ إليها في جميع حوائجه، والهاوية من أسماء جهنم لأنها عميقة القرار، فهذا نوع من السخرية والتهديد للكافرين فكما أن الأم تحيط ولدها بحنوها وعطفها فكذلك جهنم هي مأوى الكافرين تحيط بهم بعذابها ونيرانها الملتهبة. وقيل المراد بأمه هاوية أي أم رأسه، بمعنى أنهم يهوون في النار على رؤوسهم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ استفهام للتفخيم والتهويل، أي وما أعلمك يا محمد ما الهاوية، فهي خارجة عن الحدود المعهودة ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ نار حميت من الوقود التي عليها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨

شرح المفردات

ألهاكم : شغلكم عن طاعة الله وعبادته .

التكاثر : التباهي بكثرة المال والجاه والولد .

زرتم المقابر : أي حتى هلكتم وأصبحتم أمواتاً .

علم اليقين : هو العلم المبني على الحقيقة ، والمراد البعث بعد الممات .

الجحيم : هي دار العذاب في الآخرة وسميت بذلك لأنها تتأجج بالنار .

عين اليقين : رؤية متيقنة .

ثم لَتُسألُنّ يومئذٍ عن النعيم : عن الأمن والصحة والماء والطعام وكل نعم الحياة.

سُورَةُ التَّكَاثُر

ايضــاح و دروس

هذه السورة تعالج الظاهرة المادية الطاغية والتي هي أشد ما تتمثل في عصرنا الحاضر.

فالمدنية الحاضرة بما قدمت للإنسان من ألوان الترف التي تستلزم نفقات شتى، جعلت الإنسان مستعبداً لها يشتغل ليل نهار لسد سيل تلك النفقات، وجعلت حياته في دوامة من الإرهاق بدلاً من الراحة، وأدخلت إلى قلبه الهم والقلق من جراء التفكير المستمر في الحصول على المال والتكاثر فيه، مستغرقاً كل سنيّ حياته حتى يوافيه الموت.

وقد كان العرب في الجاهلية يتباهون ويتفاخرون بكثرة المال والولد والجاه فنزلت هذه السورة التي مطلعها:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾.

والمعنى: شغلكم التباهي بكثرة المال والولد وطلب الجاه عن طاعة ربكم وعبادته إلى أن متم ودفنتم في المقابر.

وفي قوله سبحانه ﴿حتى زُرْتُمُ المقابر﴾ إيحاء بأن الإقامة في القبر ليست دائمة بل هي زيارة لها، وسوف تنتهي الزيارة إلى بعث وحساب وجزاء على الأعمال.

هذا النعيم الذي يسعى إليه الإنسان على هذه الأرض، وهذا التسابق المحموم على جمع المال والتكاثر فيه لم يؤد بالإنسان إلى السعادة، فقد ولّد هذا التكاثر: التنازع بين الناس، كما ولّد لصاحبه التعب والإرهاق والهموم،

وما نتج عن ذلك من أمراض جسدية ونفسية.

فالانكباب الكلي على متع الحياة وجمع المال، والإعراض عن ذكر الله وهديه جرّ على الإنسان الخسران كما قال سبحانه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنوا لا تُلهِكُمْ أَموالُكم وَلا أولادُكُم عَن ذِكْرِ اللَّه وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فأولئِكَ هُمُ الخَاسِرُون﴾ المنافقون: ٩. فالإنسان عليه واجب العبادة نحو خالقه، وذكره باستمرار بلسان الشكر والمحبة على نعمه التي لا تحصى، فذكر الله يدخل الطمأنينة إلى قلبه ويثبته أمام المصائب والمحن، أما الإعراض عن ذكر الله فمآله الشقاء في الدنيا، وخسران نعيم الله في الآخرة، فالنعيم الحقيقي الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان ليس نعيم الدنيا القليل الزائل كما قال سبحانه: ﴿مَتَاعُ الدُّنيا قَلِيلٌ﴾ النساء: ٧٧. بل هو نعيم الآخرة الباقي الدائم كما وصفه سبحانه: ﴿يُبَشِّرُهُم ربُّهُم بِرَحْمَةٍ منه وَرِضْوَانٌ وَجَنَّاتٌ لهم فيها نَعيمٌ مقيم﴾ التوبة: ٢١.

ثم نرجع بعد هذا الاستطراد إلى متابعة معاني السورة فيقول سبحانه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمونَ﴾ كلا، كلمة ردع أي ارتدعوا عمّا أنتم عليه من التكاثر في الأموال ومظاهر الترف المختلفة، وارتدعوا عما أنتم عليه من إعراضكم عن طاعة ربكم، فإن لم تفعلوا فسوف تعلمون عاقبة عملكم، وقد كرر القرآن الجملة مرتين والتكرار فيه مبالغة في الزجر وتأكيد الوعيد للمتكاثرين.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينَ﴾ أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أيها الناس، فلو تعلمون علماً يقيناً أن الله باعثكم يوم القيامة بعد مماتكم من قبوركم للجزاء لسارعتم إلى عبادة ربكم وطاعته إشفاقاً على أنفسكم من عذابه.

والعاقبة التي هم مقبلون عليها يبينها الله بقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ﴾ كلمات قليلة معدودة حُشد لها كل ما تعرف اللغة العربية، من أدوات التوكيد: من اللام، والنون، والتكرار، والرؤية، والعين، واليقين، فبلغت ذلك ما لا تبلغه الصفحات المطولات، هو إذن اليقين الذي لا ريب فيه يتحقق برؤية الجحيم رأي العين، ورؤية الجحيم كناية عن معاناة العذاب في حرّها، فإذا كان اللاهون بالتكاثر لا بد أن يصلوا إلى هذا المصير، فليتقوا الله ولينتهوا عما هم فيه من التكاثر البغيض والتمتع باللذات ونسيان الله وترك عبادته وطاعته.

ثم يختم الله السورة بقوله: ﴿ثم لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي ليسألنكم الله جميعاً مؤمنين وكفاراً عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا كيف أصبتموه وجمعتموه، وكيف تصرفتم به، والسؤال للكفار توبيخاً لأنهم أعرضوا عن شكر ربهم، وسؤال المؤمنين تشريفاً لأنهم شكروا ربهم.

فالتنعم مذموم لمن عكف على استيفاء اللذات ولم يعش إلّا ليأكل ويشرب ويمضي أوقاته باللهو والطرب... فأما من تمتّع بِنِعَمِ الله وأرزاقه التي خلقها لعباده، وتقوّى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل الصالح، وكان قائماً بالشكر لله والتصدّق على المحتاجين والإحسان إلى مجتمعه فلا إثم عليه وهو من الناجين يوم القيامة من عذاب الله بمشيئته.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

شرح المفردات

والعصر : الواو واو القسم . العصر : يُراد به الدهر ، وهو جملة الزمان الذي تقع الحوادث فيه وقد يُراد جزء معين منه وهو وقت صلاة العصر .

خُسر : أي خسران والمراد به الشقاء في الدنيا واستحقاق العذاب في الآخرة .

تواصوا : أوصى بعضهم بعضاً .

الحق : نقيض الباطل وهو الخير كله .

ايضاح و دروس

هذه السورة تبين للإنسان العناصر الضرورية لسعادته في معترك الحياة وبعد الممات، يستهل الله هذه السورة بالقسم بالدهر ﴿والعصر﴾ لأهميته في حياة الإنسان ولاشتماله على تقلبات المعيشة، ففيه السراء والضراء، والغنى والفقر، والهناء والشقاء، ولما كان الناس يضيفون المصائب إلى الدهر ويشكون منه ويألمون، أراد الله أن يبين بهذا القسم أن الخسران من عمل الإنسان في الدهر لا من الدهر نفسه، وأن الإنسان في خسر ما لم يقم ويتحلى بأربعة أمور وهي : الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي

بالحق، والتواصي بالصبر، وفي هذا يقول سبحانه:

﴿والعَصْرِ. إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

الإيمان بالله والعمل الصالح:

فالإيمان بالله هو أول واجبات الإنسان على هذه الأرض، لأن ذلك من علامات رشده وبصيرته، وكيف لا يؤمن الإنسان بخالقه وكل شيء في هذا الكون شاهد على وجوده جلَّ شأنه.

والإيمان بالله له أثر فعال في حياة الإنسان، فهو يبدّد ظلمات هذه الحياة، ويدخل الأمل إلى القلوب، ففي ساعة الفشل واليأس يتذكر المؤمن أن هناك ملاذاً يلجأ إليه، وهو الله سبحانه، القادر على معونته، وأن ما يصيبه من ضرّ سيؤجر عليه فتطمئن نفسه، وتصغر أمامها الأهوال، وتهون المصاعب، لذلك ترى المؤمن دائماً منشرح الصدر، هادىء الأعصاب، لا يشكو قلقاً، ولا يعاني مرضاً نفسياً أو عصبياً.

أما غير المؤمن فهو فريسة للأمراض النفسية والعصبية والجسمانية، وهدف للتعلق بالأوهام، إن أصابته مصيبة عيل لها صبره، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهام في أودية السهر والسكر، فيكون نتيجة ذلك مرضاً يُقعده أو موتاً يُفاجئه.

والإيمان بالله يفجر ينابيع الخير في قلب الإنسان، ويخفف من أهوائه الضارة وأنانيته، ويبعده عن الشرور والآثام، فيسعى الإنسان في خدمة الجماعة، لأن الإنسان فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته، هذه العقيدة التي تتمثل بأن الله مطلع على أفعاله، وأنه سيحاسبه عليها يوم

القيامة إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، من هنا تظهر لنا العلاقة الوثيقة التي تربط بين الإيمان والعمل الصالح، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان بالله، لهذا قرن الله في القرآن الإيمان بالعمل الصالح مثل قوله: ﴿آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أكثر من خمسين مرة مع الوعد والبشرى بمن يتحلى بهما بالسعادة في الدنيا والآخرة.

والصالحات جمع صالحة، والصلاح في اللغة ضد الفساد، وتستعمل الصالحات في المجال الديني نقيضاً للسيئات، وهي الأعمال الطيبات التي تردّد ذكرها في القرآن الكريم داعياً إليها حاثاً عليها، وذلك فيما يتصل بعبادة الله، وطهارة النفس والإحسان إلى الجماعة.

التواصي بالحق:

ثم استثنى الله بعد ذلك من الخسران المتواصين بالحق، وفي هذا تقرير للمسؤولية الاجتماعية على الإنسان، وبيان أن كماله في نفسه لا يكفي حتى يسعى إلى كمال غيره.

والتواصي بالحق ضرورة اجتماعية، والأخذ بالحق عسير لأنه ضد أهواء النفس، وضد المصالح الخاصة وضد طغيان الحكام وظلم الأفراد، من هنا لم يأمر الإسلام متبعيه إلى الأخذ بالحق فقط، بل أمرهم بالتواصي به، والتواصي يشمل الأخذ بالحق وحث الغير عليه، وبهذا يعيشون للحق، ويصبح الحق هو المسيطر على كل منازعاتهم وبهذا يُقضى على كل خلاف في الجماعة.

فالتواصي بالحق هو المشاركة بين جميع أفراد الأمة في قاسم مشترك هو الخير لوجه الخير وفي سبيل خير المجموع.

والإسلام أشاد بالحق حتى كان الحق إسماً من أسماء اللّه تعالى، جاء في القرآن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّه هُوَ الحقّ وأنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونه هُوَ الباطل﴾ الحج: ٦٢.

وخاطب اللّه رسوله محمداً عليه السلام مبيّناً حقيقة الشريعة الإسلامية التي أنزلها عليه: ﴿إنا أرسلناك بالحق بَشيراً ونذيراً﴾ البقرة: ١١٩.

التواصي بالصبر:

ولما كان وقع الحق ثقيلاً على الأنفس، وان التواصي به تلازمه المحن والصعاب وذلك يقتضي بدوره صبراً، لذلك قرن اللّه التواصي بالصبر مع التواصي بالحق. والصبر أقسام:

صبر على أداء الطاعات التي فرضها الإسلام ودعا إليها.

وصبر عن اقتراف المعاصي التي نهى عنها.

وصبر عند نزول البلاء ومعاناة المصيبة.

وأعلى درجات الصبر ما يكون عند الصّدْمة الأولى للفاجعة فإنه يدل حينئذٍ على رباطة جأش وقوة في النفس، وصلابة في العقيدة، ولهذا يقول النبي ﷺ: «إنما الصَّبْرُ عند الصدمة الأولى»[1].

والصبر أساس كثير من الفضائل، فما من فضيلة إلاّ وهي محتاجة إلى الصبر، وقد حض اللّه ـ في القرآن ـ المؤمنين على الصبر في كثير من الآيات بما يوازي عددها الثمانين آية، وأثنى على الصابرين ووعدهم بأرفع مراتب الجزاء، من ذلك قوله سبحانه: ﴿واصْبِروا إنَّ اللّه مَعَ

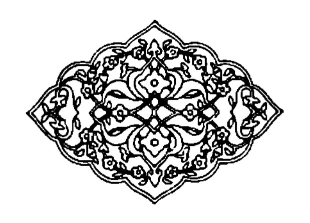
---

(١) رواه البخاري.

الصَّابِرين﴾ الأنفال: ٤٦. ﴿إنَّما يُوفَّى الصَّابِرُون أجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠. ﴿وَاصْبِرْ فَإنَّ اللَّه لا يُضِيعُ أجْرَ الْمُحْسِنين﴾ هود: ١١٥.

هذه السورة الكريمة ـ على قصرها ـ لم تدع شيئاً من الخير إلاّ واشتملت عليه وهي كما قال الإمام الشافعي رضي اللّه عنه: لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم.

وقد كان الرجلان من أصحاب النبيّ ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة، ليذكّر كل واحد صاحبه بما يجب أن يكون عليه في تصرفاته وأفعاله.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

شرح المفردات

ويل : قبح لأعمالهم في الدنيا وعذاب لهم في الآخرة .

هُمزة : الهمز هو الكسر ثم استعير بمعنى الطعن بأعراض الناس وقيل : اغتيابهم

لُمَزة : اللمز اغتياب الناس وتتبع معايبهم .

يحسب ان ماله أخلده : يظن أن ماله يضمن له الخلود في الدنيا .

ليُنبذن : ليرمين مع الإهانة ، والنبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به .

الحطمة : اسم لجهنم لأنها تحطم كل شيء يلقى فيها .

الموقدة : الشديدة اللهب التي لا تخمد أبداً .

تطّلع على الأفئدة : تصل إلى القلوب فتحرقها .

مؤصدة : مطبقة مغلقة .

عمد ممدة : أعمدة طويلة .

سُورَة الهُمَزة

ايضـــاح و دروس

في هذه السورة يتوعّد اللّه بعذاب الآخرة الذين ينتقصون من كرامات الناس يدفعهم إلى ذلك ما يقتنون من المال الوفير الذي أدخل في روعهم أنهم أعلى مكانة من غيرهم، وأن سائر الناس دونهم في الكرامة والمنزلة.

يستهلُّ اللّه هذه السورة بقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ ويل: كلمة عذاب ودعاء بالشر تقال لمن يستحق الهلكة لسوء فعله، وقيل: الويل واد في جهنم. ﴿همزة لمزة﴾ الهمز واللمز شاع معناهما في الخوض في أعراض الناس والطعن فيهم، وقيل: الهمزة المغتاب للناس، واللمزة الطعان في أعراضهم، وقيل: الهمزة اللمزة المشاء بالنميمة، المفرق بين الجمع.

ويتابع اللّه قوله: ﴿الَّذي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ المراد أنه يحصيه مرة بعد مرة ليطمئن نفسه على ماله كما يعمل البخلاء، فيغلق على نفسه باب الحجرة، ويأخذ في عدّ ماله، لا ينفقه في سبيل اللّه، ولا يؤدي حق اللّه فيه من الزكاة وغيرها، وقد يراد بعدّده: أي جعله عدة لنوازل الدهر.

ثم يبين اللّه تأثير هذا المال عند هذا الصنف من الناس: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ هذه الآية فيها أصدق تصوير لطبيعة كثير من الناس، الذين يظنون أن المال يضمن لهم الخلود في الدنيا، ويدفع عنهم غائلات الزمن ولكن ألا يعلم الإنسان أن العمر قصير، ومتاع الدنيا قليل، وأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى يُسأل فيها الإنسان عن أعماله ويحاسب فيها على سيئاته.

ثم تأتي الآية التالية: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ في الْحُطَمَةِ﴾ كلا: كلمة ردع وزجر أي ليرتدع عن أعماله وظنه هذا. لينبذن: النبذ هو الطرح والإلقاء، وهذه اللفظة توحي بالاحتقار والمهانة، وهذا رد طبيعي على استهلال السورة، لأنه

كان يهمز ويلمز احتقاراً للنـاس، فيأتي الجـواب من جنـس ما قـدم وعمل، ولكن أين ينبذ؟ إنه ينبذ في ﴿الحطمة﴾ وهي نار جهنم سميت بالحطمة لأنها تكسـر وتحطم كـل ما يلقى فيهـا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَـا الْحُطَمَـةِ﴾ تعظيم لشـأنها وتفخيم لأمرها ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أي ليـس لأحد من خلق الله أن يطفئها، والتعبير بموقدة تأكيد لاشتعالها. ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أي أن هذه النار تأكل أجساد العصاة وتصل إلى الأفئدة فتحرقها، وتخصيص الأفئـدة بالـذكر لأنها محل العقائد الزائفة ومنشأ الأعمال السـيئة ﴿إِنَّها عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ﴾ هذه النار عليهم مطبقة مغلقة ﴿فِي عَمَـدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ والعمـد جمع عمـود وهو كـل مستطيل من خشب أو حديد، أي يعذبون بعمد من حديد، أو موثوقون إلى هذه العمد لا يسـتطيعون الإفـلات، أو أن النار مغلقـة بأبـواب سدت بعمـد ممدَّدَة لا يستطيعون الإفلات منها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

شرح المفردات

ألم تر : ألم تعلم ، وهذا الاستفهام للتقرير والتذكير بحادث وقع .

أصحاب الفيل : جماعة من الأحباش النصارى قدموا مع رئيسهم أبرهة لهدم الكعبة .

كيدهم : الكيد هو تدبير السوء في الخفاء والمكر والمراد بذلك قصدهم تخريب الكعبة

تضليل : تضييع .

أبابيل : جماعات من الطير يتبع بعضها بعضاً .

سجّيل : حجارة من طين متحجر .

كعصْف : العصف حطام النبت المتكسّر .

مأكول : الذي أكلته الدواب ثم راثته .

ايضـاح و دروس

تشير هذه السورة لحادثة الفيل المشهورة عند العرب ففي سنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام وقعت بمكة واقعة الفيل، وكان لهذه الواقعة شأن ببلاد العرب كلها إذ تجلت فيها آية من آيات عناية اللّٰه بالكعبة وَرَدّ كيد من أراد بها السوء .

وتفصيل هذه الواقعة أن مملكة الحبشة لما استولت على بلاد اليمن، أقامت عليها حاكماً من قبلها اسمه أبرهة الأشرم، وكان حبشياً يدين بالنصرانية التي تدين بها الحبشة، فبنى بمدينة صنعاء عاصمة اليمن كنيسة بالغ في تفخيمها وتجميلها وسماها «القُلَّيْس» وعمل على أن يولي العرب وجوههم إليها في العبادة ويحجوا إليها بدل الكعبة، ولما لم تنجح جهوده السلمية في الوصول إلى هذه الغاية عزم على أن يحقق غايته بوسيلة القهر، وقرر أن يهدم الكعبة ليخلو الجو لكنيسة صنعاء، فجهز جيشاً وهيأ له من وسائل التخريب والتدمير ما لا قِبَل للعرب بمثله، وتوجه إلى مكة واستصحب معه الفيلة لإرهاب قريش، ولم يلقَ في طريقه إليها مقاومة ذات شأن حتى وصل إلى موضع قريب من مكة بطريق الطائف اسمه «المغمس» فعسكر في هذا الموضع وأرسل إلى مكة رسولاً يحمل إلى سيّد قريش رسالة قال له فيها: «إني لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم البيت الحرام فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم» وكان مما قاله أبرهة لرسوله: «إن لم يُرِد سيد قريش حربي فأتني به».

وكان سيد قريش يومئذٍ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله محمد ﷺ وكان رجلاً جليلاً وقوراً. ولما كان لا يستطيع مقاومة أبرهة فقد رضي أن يخرج لمقابلته والتفاوض معه فعرض عبد المطلب عليه ثلث أموال تهامة من قريش وغيرها على أن يرجع عن مكة ولا يهدم البيت فأبى.

رجع عبد المطلب إلى قومه مشيراً عليهم باللجوء إلى الجبال إتقاء لجيش أبرهة، ثم توجه ومعه نفر من قريش إلى الكعبة يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، وأنشد عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يـا ربِّ لا أرجـو لهم سـواكـا　　يـا رب فـامنـع منهم حِمـاكـا
إن عـدو البيـت من عـاداكـا　　امنعهم أن يَـخْـرِبُـوا قُـراكـا

ثم لحق عبـد المطلب ومن معـه من قـريش بمن سبقهم إلى الجبـال منتظرين ما يفعل أبرهة بمكة والكعبة.

وجّه أبرهة جيشه وأفياله لما جاء لـه، فبرك الفيـل الذي في المقـدمة وكذلك باقي الفيلة، وجهدوا في حملها على اقتحام الكعبة فلم يفلحوا، ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش المعتدي وقائده.

فالله سبحانه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

ألم تر: أي ألم تعلم، أو ألم تُخبر، واللفظ استفهام والمعنى تقرير. ثم قال سبحانه ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾ ولم يقل (ما فعل) لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وأصحـاب الفيل هم جيش أبـرهة الذين جاءوا لهدم الكعبة ومعهم الفيلة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي ألم يهلكهم الله ويجعل سعيهم ومكرهم في بطلان وتضييع.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾ أبـابيل: أي طيـوراً كثيرة أو جمـاعات متتابعة بعضها إثر بعض، قيل إنها كانت طيراً خضراً خرجت من البحر، وقيل كانت أشباه الوطاويط حمراء وسوداء وكـانت تحمل في أظـافرهـا ومناقيـرها الحجارة.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي كانت تلقي عليهم حجارة من طين وكانـت أكبر من العدسـة وأصغر من الحمصة.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ أي جعلهم الله كـورق الـزرع أو التبن

الذي أكلته الدواب وأخرجته من أجسادها وهو الروث، شبهوا بذلك لتقطع أوصالهم وتفرق أجزاء أبدانهم وتحقيراً لهم.

فاللَّه سبحانه في هذه السورة يذكر العرب ومن يجيء بعدهم من الأمم بدليل ملموس على وجوده وقدرته وعلى معجزة من معجزاته، لقد فعل اللَّه بأصحاب الفيل ما فعل لأنهم أرادوا هدم بيته، ذلك البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة اللَّه بأمر ربه، ثم بعث اللَّه محمداً ﷺ بالرسالة التي جاء بها إبراهيم وهي عبادة اللَّه وحده ونبذ الأصنام والشرك باللَّه مع شريعة توافق تطور الأمم.

ولما اشتد أذى قريش على رسول اللَّه بمكة، وأسرفوا في العدوان عليه وعلى من استجاب لدعوته، ونال رسول اللَّه من أجل ذلك حزن بالغ، ذكّره اللَّه في هذه السورة بحادثة الفيل تثبيتاً لقلب رسول اللَّه، وبرهاناً على أن اللَّه يحق الحق، وينصر الضعيف، ويبطل الباطل، ويهزم القوي الباغي.

فحادثة الفيل تعتبر فاتحة عصر جديد في حياة العرب، حتى أنهم أصبحوا يؤرخون بها حوادثهم فرسول اللَّه محمد ﷺ مثلاً ولد عام الفيل وبعد أربعين سنة من مولده بدأ نزول القرآن يتوالى عليه، وكان في هذه الأثناء أناس يتراوح سنهم بين الخمسين والمائة سنة وما فوق، ومعنى هذا أنهم رأوا هذه الحادثة رأي العين، ورأوا معجزة اللَّه في إهلاك الذين أرادوا هدم الكعبة، فلو كان في صحة هذه المعجزة أدنى ريب، لاعترض عليها أعداء النبي ﷺ وجعلوها حجة للتشكيك في القرآن، وهذا لم يحصل قط.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

شرح المفردات

لإيلاف : ألف الشيء : أنس به وأحبه وهيأه وجهزه .

قريش : أكرم قبيلة عربية وهي القبيلة التي ينتسب إليها محمد ﷺ وكانت تسكن مكة .

إيلافهم : تكرار يفيد التقرير والتأكيد .

هذا البيت : هو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

آمنهم : جعلهم آمنين من التعدي عليهم .

ايضاح و دروس

كان من آثار حادثة هلاك أبرهة وجيشه ـ بما ذكرناه في سورة الفيل ـ زيادة حرمة الكعبة عند العرب وزيادة مكانة سدنتها[1] من قريش في الجزيرة العربية وخارجها، يجدون الكرامة والرعاية والأمن حيثما حلوا لأنهم أهل بيت اللّٰه الحرام. وقد ساعدهم ذلك على أن يسيروا في الأرض آمنين لا يمسهم أحد بسوء على الرغم مما كان سائداً بين العرب من النهب والسلب، كما قد شجعتهم حالة الأمن هذه على أن يقوموا برحلتين للتجارة

---

(١) السدنة هم القائمون على خدمة الكعبة والحجيج .

عن طريق القوافل إحداهما إلى اليمن في الشتاء، والثانية إلى الشام في الصيف مما فتح لهم أبواب الرزق الوفير، وخصوصاً إذا لاحظنا أن أرضهم قاحلة ليست بذات زرع، وهم ليسوا بأهل صناعة مشهورة يحتاج الناس إليها. فالتجارة القائمة على الأمن كانت المورد الأساسي لوفرة رزقهم.

فالله سبحانه يمتن على قريش بنعمة الأمن والرزق، كما يثير التعجب من حالهم بسبب بطرهم وإعراضهم عن عبادة الله، وكان الواجب عليهم أن يعبدوا الله ويشكروه على نعمه ولا يشركوا به شيئاً.

يستهل الله هذه السورة بقوله:

﴿لإيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِم. رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

الإيلاف: مصدر آلف أي هَيَّأ وَجَهَّزَ. أو من أَلِف الشيء إذا أنس به ولزمه. أو من ألَّف الشيء إذا وصله أو جمع بعضه ببعض. واللام (لإ) في إيلاف متعلقة بالسورة التي قبلها وهي سورة الفيل، ويكون المعنى: نجاة بيت الله من الهدم وردّ أبرهة وجيشه مدحورين لم ينالوا من البيت شيئاً كان من نتيجته أن هيأت قريش وجهَّزَت رحلتين للتجارة في السنة متصلتين لا تنقطعان مطمئنين في ذلك على رزقهم لا يهددهم أحد بخوف، والله لم يصنع ذلك لهم إنما صنع ذلك حماية لبيته. ولما حمى الله بيته تَبِعَ ذلك أن تَأْلَفَ قريش رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام.

أما إيلاف الثانية المذكورة في الآية بلفظ (إيلافهم) فهي بدل من (لإيلاف) الأولى وكررت للتفخيم وإبراز شأنها الهام.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾ أُمروا بعبادة رب الكعبة وهو الله سبحانه، وتأمل كيف أن الله لم يقل: «فليعبدوا ربهم» بل قال: ﴿رَبَّ هَـذا البَيْت﴾ للتركيز باديء ذي بدء على سبب النعم والخصائص التي خصهم الله بها في

زمانهم إذ يقومون بتجارتهم آمنين باسم هذا البيت، فإذا اعترضهم معترض من غوغاء الفيافي قالوا: نحن جيران بيت اللّه، فتكف النفوس الشريرة عن اعتدائها.

فنعم اللّه على قريش غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل تسهيل اللّه لهم ما كانوا يألفونه من رحلة الشتاء والصيف ولذا قيل إن اللام في «لإيلاف» متعلقة بالفعل: «فليعبدوا».

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ﴾ والتنكير في جوع وخوف للدلالة على شدتهما، يعني أن اللّه أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه لأن أرضهم غير ذات زرع، وآمنهم من خوف عظيم وهو خوفهم من أصحاب الفيل الذين أهلكهم اللّه ونجاهم من شرهم، كما آمنهم من كل عدو يترصدهم. كما أن اللّه أكرمهم بعد ذلك بواسطة رسالة محمد ﷺ التي جعلت الناس تفد إليهم بمكة من كل البلدان فضمنوا بقاء ثرائهم وازدياد تجارتهم، وآمنهم من خوف الناس الذين أصبحوا بنعمة اللّه إخواناً.

وتأمل الترتيب القرآني حيث ذكر الإطعام بإزالة الجوع ثم الأمن بإزالة الخوف وهو ما أثبتته أبحاث علم النفس التي تقرّر أن غريزة البحث عن الطعام هي أقوى الغرائز جميعاً، وأسبقها إلى الظهور، ويليها في المنزلة غريزة طلب الأمن.

فنعمة الرزق والأمن من الخوف من أجلّ نِعَم اللّهِ على الإنسان التي تستوجب عبادته وشكره، وتمجيده بلسان المحبة والامتنان، أمّا الإعراض عن عبادة اللّه وكفر النِعَم التي أسبغها اللّه سبحانه على الإنسان فإنه يؤدي إلى زوالها.



بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ
عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧

شرح المفردات

أرأيت : أعلمت وعرفت .

الدين : هو دين الإسلام ، وقيل : هو يوم الجزاء والحساب في الآخرة .

يدعُّ اليتيم : يدفع اليتيم عن حقه ويزجره بعنف .

لا يحض : لا يحث الناس .

فويل : هلاك وعذاب .

صلاتهم ساهون : يؤخرونها عن وقتها ويتركونها أو لا يخشعون فيها .

يُراؤون : المراءاة إظهار العبادة للناس ليثنى عليهم بالصلاح لا ابتغاء مرضاة الله

الماعون : قيل هي الزكاة ، أو الإعارة من الحاجات الضرورية ولوازم البيت .

سُورَة المَاعُون

ايضـــاح و دروس

هذه السورة جاءت لتوضح حقيقة الإسلام، وأنه ليس عقيدة فقط، ولا كلمة تُقال، وإنما هو منهج وسلوك في الحياة، فكل من لا يطبق تعاليمه، ولا يخرج بها من دائرة القول إلى دائرة الفعل فهو مكذب بالدِّين:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بِالدِّين. فَذَٰلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلاَ يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ﴾.

فاللَّه سبحانه يستهل هذه السورة بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ وهو استفهام فيه التعجب وتشويق السامع إلى تعرّف صفات المكذّب بالدِّين، والدِّين هو الثواب والعقاب في الآخرة، كما يمكن أن يُراد من الدِّين: الإسلام. والرؤية بمعنى المعرفة، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء في الآخرة أو الإسلام، إن أردت أن تعرفه فهو الذي ﴿يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾ أي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً عن حقه بخشونة ولا يطعمه ولا يُحسن إليه. واليتم مظهر من مظاهر الضعف الإنساني، فكل مستهين بضعيف أيضاً يظلمه أو يمنعه حقه يسري عليه هذا المعنى.

ومن صفات المكذب بالدين: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَام المسكين﴾ فاللَّه سبحانه سَمَّى ما يقدّم للمسكين من القوت: ﴿طعام المسكين﴾ كأنه ليس طعام من يتفضّل به عليه من ذوي الغنى، بل هذا الطعام هو طعام المسكين ملَّكه له ربه بما فرض على الموسرين من إنفاق على المعسرين.

والذي لا يحث غيره على إطعام المساكين فهو لا يطعمهم في العادة،

فقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طعام المِسْكِينِ﴾ كناية عن الذي لا يجود بشيء من ماله على الفقير المحتاج، وإنما جاء بالكناية ليفيدك أنه إذا ما احتاج المسكين إلى مال ولم تجد ما تعطيه إياه فعليك أن تَطْلُبَ مِنَ الناس أنْ يعطوه، وفي ذلك حث للمؤمنين على إغاثة الفقراء، ولو بجمع المال من غيرهم، وهي طريقة الجمعيات الخيرية التي لها أصل في القرآن بهذه الآية.

ثم يتابع القرآن فينذر المصلين الذين يغفلون عن حقيقة الصلاة بالعذاب والهلاك: ﴿فَوَيْلٌ للمُصلّين. الذين هُمْ عَنْ صَلَاتهم سَاهُونَ﴾.

الويل: كلمة تقال لمن يستحق الهلاك والعذاب في الآخرة، أما الذين عن صلاتهم (سَاهُون) فهم الذين يلهون ويتغافلون عنها فلا يؤدونها في أوقاتها، أو يتركونها فلا يصلونها، أو يغفلون عن معانيها من الخشوع لله، والنهي عن الفحشاء والمنكر، كما جاء في القرآن: ﴿إنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمنْكَر﴾.

﴿الّذينَ هُمْ يُراءُونَ﴾ والمراءاة هي أن يُري الإنسان الناس خلاف ما هو عليه في الواقع ليخدعهم، والمراؤون هنا هم المنافقون الذي يُصلّون لا رغبة في رضاء الله، بل ليراهم المؤمنون فيظنوهم منهم، وهم في صلاتهم لا يرغبون في ثواب ولا يرهبون من عقاب.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ والماعون هي الزكاة، أو ما يتداوله الناس ويتعاونون به من إعارة حاجيات البيت الضرورية: كالفأس والقدر والدلو والحبل والقداحة وغير ذلك. وقيل: الماعون هو أن يمنعوا معروفهم ومعونتهم عن الناس فلا يهمهم إلاّ أنفسهم.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

شرح المفردات

الكوثر : هو الخير الكثير الذي أعطاه الله للنبي ﷺ ويشمل : النبوة ، والقرآن ، والحكمة ، ورفعة الذكر ، وكثرة الأتباع ، والشفاعة . وقيل : الكوثر نهر في الجنة وعد الله به نبيه محمداً .

فصلّ لربك : داوم على الصلوات الخمس لربك واجعلها خالصة لوجهه دون سواه .

وانحر : اذبح الذبائح من المواشي قربى لله تعالى وحده .

شانئك : مبغضك .

الأبتر : الأبتر من الرجال الذي لا ولد له ، وكل أمر انقطع الخير منه فهو أبتر .

ايضاح و دروس

كان بعض أعداء النبي ﷺ إذا رأوا أبناءه الذكور يموتون يقولون: بُتِرَ محمد وانقطع نسبه فليس له من يقوم بأمره من بعده. وكان هذا النوع من التهكم يجد له في البيئة العربية ـ التي تتكاثر وتتفاخر بالأبناء ـ أثراً في نفوس البعض ولعلها آلمت قلب النبي ﷺ، ومن ثمّ نزلت هذه السورة تواسي النبي ﷺ وتردّ على أعدائه وتبين فضل أمر الدّين على الولد.

في هذه السورة يواسي اللّه النبي ﷺ بأنه أعطاه الكوثر:

﴿إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ أي الخير الكثير.

هذا الخير الكثير يتمثل في النبوة التي خصّه اللّه بها، المتلقية لوحيه وهو القرآن الذي يتلوه مئات الملايين من البشر ويتلقون ما فيه من هدى ورحمة.

وهذا الخير يتمثّل أيضاً في سنّته وسيرته العطرة التي يتدارسها أتباعه ويسيرون على منهجها ويقتدون بها.

وهذا الخير يتمثل كذلك بإعلاء ذكر النبي ﷺ وعلو منزلته، فمئات الملايين من المسلمين يدعون اللّه له بمحبة وإخلاص في صلواتهم بالرحمة والبركة بقولهم: (اللهم صَلِّ[1] على محمد) (اللهم بَارِكْ على محمد).

وهذا الخير يتمثل أيضاً بالنعيم في الآخرة ومنها نهر في الجنة خصه اللّه بمزايا خاصة يشرب من حوضه النبي ﷺ وأتباعه كما جاء في الحديث الصحيح.

بعد بيان هذا العطاء الكبير الذي خص اللّه به نبيه أمره سبحانه بشكر هذه النعم الفائضة، وتوجيهه إلى درب الإخلاص في العبادة: فقال سبحانه: ﴿فصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي فاجعل صلاتك كلها لربك خالصة له دون سواه من الأنداد والآلهة، وانحر ذبيحتك للّه وحده فيما هو نسك لك في شعائر الحج وسواها واطعم منها الفقراء. فقد كان كفار مكة يجعلون صلواتهم وقرابينهم للأوثان، فاللّه سبحانه يريد أن يقضي على الشرك بكافة مظاهره، فهو إذ يخاطب نبيه بهذا المفهوم المجرد لتوحيد اللّه فهو في الوقت نفسه

---

(١) صلِّ: الصلاة من اللّه الرحمة، والمعنى: أي يا اللّه ارحم محمداً.

يخاطب من وراء ذلك اتباعه ليقضي على كل رواسب الشرك في قلوبهم.

ولقد أعطى الله رسوله محمداً (الكوثر) ويشمل الخير له ولأمته، وأمام هذه النعمة فإن على المؤمنين أن يُقابلوا ذلك بالصلاة والشكر ونحر الذبائح قربى من الله لإطعامها الفقراء.

ثم ينتقل القرآن إلى بيان ما خص الله به نبيه من منزلة رفيعة مما يذهب عنه كل ضيق وحرج مما كان يسمعه من قومه: بأنه أبتر فيقول سبحانه له: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أي أن مبغضك يا محمد هو الأبتر لأنه سيكون منقطع الذكر.

ولقد صدق الله وعده فانقطع ذكر أعدائه وانطوى أثرهم لأنهم كانوا يمثلون الكفر والباطل والشر وهي أمور أراد الله لها الخسران والهلاك، بينما امتد ذكر محمد ﷺ في جميع أرجاء الأرض لأنه كان يحمل رسالة الدعوة إلى الله وهي رسالة الحق والخير التي أراد الله لها أن تنتصر على جحافل الكفر ودعاة الباطل والشر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

المعنى الإجمالي

قل يا أيها الكافرون لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أنتم عابدون الله عز وجل الذي أعبده لإشراككم به ، واتخاذكم الأصنام ، فإن زعمتم أنكم تعبدونه فأنتم كاذبون لأنكم تعبدونه مشركين . فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم عابدون مثل عبادتي التي هي توحيد لله ، لكم عبادتكم التي تصرون عليها وهي عبادة ضالة ولي عبادتي التي ارتضاها الله لي .

ايضاح و دروس

يروى أن جماعة من كفار قريش قالوا للنبي ﷺ : هَلُمَّ فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٓهك سنة فقال النبي ﷺ : معاذ اللّٰه أن أُشرك ب سبحانه غيره، فقالوا: فاستلم (أي : قَبِّلْ) بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلٓهك، فنزلت هذه السورة.

وما ذكرته هذه السورة من تكرار العبادة مقصود بها العبادة الحاضرة،

والعبادة الحاصلة في المستقبل هذا رأي بعض المفسّرين، ويرى البعض أن تكرار العبادة في السورة هو للتأكيد، فالقرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتهم تكرار الكلام للتأكيد والإفهام فيقول المجيب: بلى، بلى، والممتنع: لا، لا. وفائدة التأكيد قطع أطماع الكفار بالتأثير على النبي ﷺ أو على المؤمنين، وتحقيق أن الكفار باقون على الكفر أبداً ولا فائدة منهم.

فالكافرون المخاطبون في هذه السورة فئات:

منهم الماديون الذين أنكروا وجود اللّٰه.

ومنهم الذين عبدوا المال والأهواء، أو عبدوا زعماءهم ورجال دينهم.

ومنهم الذين اتخذوا للّٰه ولداً أو شريكاً في الخلق والتدبير، أو عبدوا مع اللّٰه المظاهر الطبيعية والملائكة والحيوانات أو الأصنام والأوثان.

هؤلاء الكافرون لهم دعاتهم الذين يحاولون إغراء المؤمن بسلوك طريقهم والتأثير عليه بشتى السبل حتى ينساق إلى منهجهم.

ففي هذه السورة يأمر اللّٰه سبحانه المسلم بمتابعة مسيرة الإيمان بعزم وتصميم وعدم الإصغاء لأي نداءات تفسد عليه إيمانه، وذلك بأسلوب قاطع جازم، فسارت بنفي بعد نفي وتوكيد بعد توكيد.

﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الذي أعبده غير الذي تعبدونه.

﴿ولاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ومعبودكم غير معبودي.

﴿وَلاَ أنا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّم﴾ توكيد لمضمون الجملة الأولى.

﴿وَلاَ أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُد﴾ توكيد لمضمون الجملة الثانية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

شرح المفردات

إذا جاء نصر الله : إذا نصرك الله وأعانك على عدوك يا محمد .

والفتح : المراد بذلك فتح مكة وكان ذلك سنة ثمانٍ للهجرة .

دين الله : دين الإسلام .

أفواجاً : جماعات ، فوجاً بعد فوج .

فسبّح : نزه الله تعالى عن كل نقيصة في ذاته وصفاته وأفعاله .

واستغفره : اطلب المغفرة منه .

توّاباً : كثير القبول لتوبة عباده التائبين .

ايضاح و دروس

تشير هذه السورة إلى فتح مكة حيث نقضت قريش معاهدة الصلح مع النبي ﷺ فحشد النبي جيشاً مكوناً من عشرة آلاف مقاتل وسار في رمضان من العام الثامن للهجرة، فأوصى النبي بعدم القتال إلا إذا أكرهوا عليه، وقد شاء الله أن يدخل النبي وجيشه مكة من غير حرب وهكذا استطاع أن يكسب أكبر نصر في تاريخ الدعوة الإسلامية وبغير إراقة دماء.

وكان لفتح مكة آثار بعيدة المدى إذ قضى على الوثنية في معقلها الأكبر بتحطيم الأصنام المقامة بالكعبة وأزال ما بها من صور وتماثيل، وبدخول مكة حظيرة الإسلام استطاع النبي التغلب على بقية القبائل في الحجاز وإرساء دعامة دولة الإسلام.

فالله سبحانه يقول:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾.

فالله يخبر رسوله محمد ﷺ بأن النصر سيجيء لا محالة، وهذا ما تحقق فعلاً، فالفتح كان فتح مكة الذي تحقق بعد نزول هذه السورة بفترة وجيزة.

هذا وإن كثيراً من قبائل العرب كانت تنتظر هذه المعركة بين قريش وبين رسول الله ﷺ فلما حصل النصر والفتح بدأ الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات، أمام هذا الأمر يخاطب الله رسوله محمداً:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

أي نزه ربك يا محمد عن صفات النقص والسوء مصاحباً ذلك بحمده وشكره على النصر الذي أولاك به، واطلب الغفران من الله سواء من استبطاء وعد الله بالنصر، أو من الزهو الذي يمكن أن يراود النفوس عند حصول فتح البلدان.

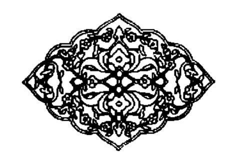
ولكن أيًّا كان السبب للاستغفار، فالملاحظ في الاستغفار أنه إيحاء للنفس لتعترف وتقرّ بأنها في موقف التقصير والعجز، وإن النصر الذي تمّ على يدها ليس من صنعها فقط، فالنصر هو نصر الله، وفتح البلدان تمّ

بفضله، هذا الشعور بالتقصير والعجز يوحي للفاتحين بعدم الطغيان على المقهورين والانتقام منهم، إنه درس إلّهي يريد اللّه أن يلقّنه للمسلمين كي يتواضعوا عند النصر، وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً، لقد دخلها وهو راكب على ناقته حاني الرأس تواضعاً خاشعاً للّه على ما أكرمه من الفتح.

إن مشهد هذا التواضع بما ينطوي عليه من أبعاد ومضامين تظهر مزاياه إذا ما قارناه بموقف الفخر والعظمة والوحشية وشرب الخمور على إشلاء الجثث التي فعلها القادة والمحاربون غير المسلمين في انتصاراتهم.

وهذه السورة أوحت في الوقت نفسه بأنها نعي للنبي ﷺ فقد قال النبي ﷺ عند نزول هذه السورة «نُعِيَتْ إلَيَّ نفسي».

ففي حصول النصر والفتح ودخول الناس في دين اللّه أفواجاً دليل على حصول الكمال والتمام، وذلك الكمال يعقبه النقص والزوال، كما أن الأمر من اللّه لنبيه بالتسبيح والحمد والاستغفار دليل على أن تبليغ الرسالة الإلّهية قد تم وكمل، وذلك يقتضي قرب انقضاء الأجل.





بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥

شرح المفردات

أبي لهب : أحد أعمام النبي واسمه عبد العزى .

وتب : أي هلك ، فكلمة تب الأولى دعاء عليه بالخسران والهلاك . وكلمة تب الثانية إخبار من الله بأن أثر هذا الدعاء قد حصل .

ما أغنى عنه ماله : أي لم ينفعه ما جمعه من الأموال .

وما كسب : وما كسبه في حياته من ثراء ومغانم .

سيصلى ناراً : أي يدخلها ويقاسي حرها .

ذات لهب : ذات توقد وحرارة شديدة وهي نار جهنم .

حمالة الحطب : كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ، وقيل : كانت نقالة للحديث السوء .

في جيدها : في عنقها .

حبل من مسد : حبل من ليف أو شعر أو وبر أو جلد أُجيد فتله .

ايضاح و دروس

أبو لهب هو عمّ النبي ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكني

بأبي لهب لتلهب وجنتيه وإشراقهما.

وكان أبو لهب يتبع النبي ﷺ في بعض غدواته إلى القبائل لدعوتها إلى الله، فإذا قال «إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُم» يكذبه عمه وينهى الناس عن تصديقه.

وكانت امرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان تعاون زوجها في إيذاء النبي ﷺ.

فأبو لهب صنف من الرجال بطروا في حياتهم بسبب أموالهم الوفيرة، فهم ضد أي دعوة إصلاحية تمس وضع حياتهم، وتفرض عليهم واجبات وحقوقاً لمجتمعهم، فأبو لهب على الرغم من قرابته للنبي كان أشد الناس عداءً له بسبب تلك الرسالة الإلّهية التي كان ينادي بها، تلك الرسالة التي تقوم على الأخوة والرحمة والمساواة.

وروي في أسباب نزول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصَّفا فهتف: «يا صباحاه» فاجتمعوا إليه، فقال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو لهب: تبًّا لك، ما جمعتنا إلّا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة التي مطلعها:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب. سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿تَبَّت﴾ دعاء عليه بالهلاك والخسران ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي نفس وذات أبي لهب. ﴿وَتَبَّ﴾ إخبار من الله بتحقق الهلاك والخسران. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ ما: نافية. أي لن ينفعه ماله ﴿وَمَا كَسَب﴾ وهم ولده، أو ما كسبه من الأرباح والمنافع والوجاهة والأتباع ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

سيدخل في الآخرة ناراً ذات اشتعال وتوقّد ليقاسي حرّها.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي أن امرأته كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله، وقيل إنها كانت تسعى عند القوم بالنميمة على رسول الله لتفسد عليه قلوب القوم كما أفسدت قلب زوجها عليه. والساعي بالنميمة يلقب بحامل الحطب في كلام العرب.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ وصفها القرآن بذلك تحقيراً لشأنها لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في عنقها كما يفعل الحطابون وهي التي تعتبر سيدة في قومها، كما أن العنق هو موضع الزينة، وقيل المراد بذلك بيان حالها يوم القيامة حيث يكون في عنقها حبل من نار أو سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً.

لقد أنزل الله بأبي لهب وزوجته هذه السورة التي فيها دعاء بهلاكهما ليكون ذلك مثلاً يعتبر به كل من يصرف الناس عن هدى الله، أو يعرض عنه مطاوعة لهواه، وإيثاراً لما ألفه من العقائد، واغتراراً بما عنده من الأموال.

وقد تحقق وعد الله، وخسر أبو لهب[١]، وبطل سعيه الذي كان يسعى إليه من صد الناس عن الإسلام، وانطمس ذكره وحقّر على مدى العصور، ومات ميتة شنيعة، فقد أصيب بمرض معدٍ كالطاعون يسمى «العدسة» وبقي ثلاثة أيام حتى أنتن، فلما خاف قومه العار حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعود حتى وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه.

وهذه السورة تصور الطبيعة البشرية عند بعض النساء اللاتي يثابرن

---

(١) تأمل تناسق كلمات هذه السورة لفظاً ومعنى فعم النبي يكنى بأبي لهب. ومآله جهنم وهي نار ذات لهب وامرأته حمالة الحطب والحطب مما يوقد به اللهب.

على إثارة النميمة، وإشعال نار الفتنة في المجتمع معطية مثالاً على ذلك بامرأة أبي لهب التي وصفها القرآن بـ (حمالة الحطب) فإذا تقصينا أسباب أكثر العداوات التي تنشأ في المجتمع والأسر لرأينا مصدرها بعض النساء اللاتي يثرن الفتنة حبًّا في رؤية الناس متعادين متباغضين، يساعدهن في ذلك فتنتهن للرجال وطلاقة ألسنتهن، ووقوع الرجال في حبائلهن وسرعة الانقياد لهن مأسورين بحبهن.

معجزة للقرآن

هذه السورة تحمل أكبر دليل على أن القرآن وحي إلٓهي بما فيها من نبأ غيبي تحقق فعلاً.

فمن المعلوم أن كثيراً من خصوم رسول الله ﷺ ظلوا مدة على خصومتهم وعدائهم للإسلام ثم لانت قلوبهم له وجاءوا إلى رسول الله ﷺ يعلنون إسلامهم مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص. ولكن المدهش أن يختار القرآن واحداً من هؤلاء الخصوم ليحكم عليه بالكفر الأبدي، ويؤكد على ذلك بقوله: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ومعنى هذا أنه سيظل على كفره إلى أن يموت ويستحق بذلك عذاب الآخرة.

فهذا الحكم القاطع بأن أبا لهب لن يسلم يمكن أن يُنقض لو كان القرآن من عند غير الله، فمن الجائز أن يقف أبو لهب وسط العرب ويقول على رؤوس الأشهاد أشهد أن لاإله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله يقولها نفاقاً ويعقب على ذلك قائلاً: إن قرآنكم قال إني سادخل النار بسبب عدم إيماني، وها أنا أعلن إيماني وأشهد بصدق رسول الله، إن هذا لو حصل قد يثير شكوك الناس بالقرآن بأنه وحي إلٰهي، ولكن شيئاً من هذا لم يحصل، وتحقق ما أعلنه القرآن بأنه لن يُسلم إلى أن يموت[1].

(١) باختصار وتصرف عن الشيخ محمد متولي الشعراوي.



بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤

شرح المفردات

الصمد : المقصود في الحوائج كلها[1].

ولم يكن له كفواً أحد : ليس له مثيل ولا نظير من خلقه .

ايضاح و دروس

نزلت هذه السورة جواباً للمشركين حين سألوا رسول اللّه محمداً ﷺ أن يصف لهم ربه، ويبين لهم نسبه، فوصفه لهم بما أنزل عليه من الوحي :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

أي قل يا محمد عن اللّه: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهو واحد في ذاته وصفاته وفي أفعاله، وفي التوجه نحوه في العبادة. فوحدانية اللّه عقيدة أساسية بني عليها الإسلام، وبُني عليها كل دين إلّهي، وما من رسول ولا نبي إلاّ وأساس دعوته ﴿اعبدوا اللّه ما لَكُم مِن إلّه غيره﴾ المؤمنون: ٣٢.

فاللّه سبحانه (واحد) تشهد عليه آثار خلقه، تأمل أيها القارىء في هذا العالم، وأمعن النظر فيما حواه من دقة ونظام وحكمة وتدبير، وكيف ارتبطت

---

(١) الصمد : قيل أيضاً في معناه هو السيد المطاع الذي لا يقضي دونه أمر . وقيل : هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد . وقيل : الدائم الباقي بعد فناء خلقه .

أجزاؤه بعضها ببعض حتى كونت على تباعدها وتباينها وحدة كاملة، دقق النظر فستجدها صادرة عن تدبير واحد، وصدق القائل:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحد

والله سبحانه (واحد) لا إلّه سواه، وإن إشراك أي قوة من قوى الطبيعة، أو أحد من خلقه معه، لظلم عظيم، وإثم كبير كما جاء في القرآن:

﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان : ١٣.

ومن ادعى أن الله ثالث ثلاثة فقد كفر بالله، جاء في القرآن:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِين قَالُوا: إنَّ اللَّه ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ المائدة: ٧٣.

ولو كان مع الله شركاء في ألوهيته لاختلف الشركاء في التدبير والتكوين والتنظيم، وأدى ذلك إلى فساد الكون وعدم انتظامه، وهذا ما جاء في القرآن عقب الكلام عن خلق السماء والأرض:

﴿لَوْ كَانَ فِيهما آلِهَةٌ إلاَّ اللَّه لَفَسَدَتَا﴾.

والله سبحانه (واحد) فلو كان مع الله شركاء لعلا بعض الشركاء على بعض وتنازعوا، واستبد كل واحد بما خلق، فلا يصلح هذا الكون، ولا تستقر له نظم. وإلى هذا يشير القرآن:

﴿ما اتَّخَذَ اللَّه مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْض سُبْحان اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون﴾ المؤمنون: ٩١.

ثم يصف القرآن الله سبحانه عقب وصفه بالوحدانية ﴿اللَّه الصَّمَدُ﴾ أي السيد المقصود الذي لا يُقضى أمرٌ إلاّ بإذنه، فهو المقصود وحده في الحوائج، وهو الملاذ عند الملمات، والملجأ والمستغاث عند الشدائد.

واللجوء إلى الله وقصده عند الملمات نزعة فطرية فَطَرَ اللَّه الناس

عليها، وأثبتها تاريخ الأديان وفلسفتها، فالإنسان يلجأ إلى ربه ويقصده عند الملمات وهذا ما ذكره القرآن: ﴿وإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنيباً إليه﴾

وبعد ذلك يصف القرآن اللّه سبحانه: ﴿لم يَلِدْ وَلَمْ يُولَد﴾ أي لم يصدر عنه ولد، ولم يصدر هو عن شيء، وهذا ردٌّ على مشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات اللّه، وردٌّ على اليهود حين قالوا عُزير ابن اللّه، وردٌّ على النصارى الذين قالوا: المسيح ابن اللّه.

واللّه سبحانه لو كان مولوداً لكان حادثاً بعد عدم مثل جميع الآدميين، ولكان يحتاج في حدوثه إلى موجد يوجده، وصانع يصنعه، وبذلك تسقط ألوهيته إذ يكون محتاجاً إلى إلّه يمنحه الوجود.

وأخيراً يصف القرآن اللّه سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾ أي ليس له مماثل في ذاته وصفاته وأفعاله ولا في ألوهيته، فهو سبحانه كما جاء في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

وقد ضل كثير من الشعوب إذ وصفوا الخالق بأشكال من نسج خيالهم، وصوّروه بصُورٍ لا يستسيغ العقل قبولها، مما أعطى الملحدين حجة استغلوها في مهاجمة الأديان.

أما الإسلام فرد الأمر إلى نصابه، وأتى بالقول الفصل في حقيقة اللّه فهو المتصف بجميع صفات الكمال، وهو البعيد عن كل صفات المخلوقين، وهو سبحانه كما وصف نفسه في القرآن: ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ الروم: ٢٧.

سميت هذه السورة بسورة الإخلاص لما قررت من حقيقة اللّه مما يقتضي الإخلاص في عبادته وحده، وفي الاتجاه إليه وحده، وقد ورد عن النبي ﷺ «ان هذه السورة تعدل (أي تساوي) ثلث القرآن» (رواه مسلم).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

شرح المفردات

أعوذ : التجىء وأحتمي والوذ .

الفلق : الصبح ، وقيل : جميع المخلوقات .

غاسقٍ : ليل مظلم ، والغسق : الظلمة .

وقب : دخل ظلامه في كل شيء .

النفّاثات في العُقد : النفث ، النفخ مع ريق . العقد جمع عقدة وهي التي تكون في الخيط أو الحبل . والنفّاثة تُقال للذكر والأنثى والنفاثات جمعه . قيل المراد بذلك السحرة ، وقيل : هم النمامون .

حَاسِدٍ : الحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره .

حسد : أي أنفذ ما يضمره من حسد وحققه بالفعل .

ايضــاح و دروس

هذه السورة توجيه من الله لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين للإلتجاء إليه من كل خوف يصيبه ويصيبهم، ومن كل شرّ يخشون حصوله.

تستهل هذه السورة بقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ والفلق : شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض، قيل المراد بذلك الصبح ، وسُمي فَلَقاً لأن

الليل ينفلق عنه الصبح، جاء في القرآن: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ الانعام: ٩٦. وقيل: الفلق هو الخلق والوجود كله، فقد كان مَسْتوراً في ظلمة العدم وفلقه الله منهـا بـالتكـوين. وقـد جـاء في القـرآن: ﴿إِنَّ اللَّه فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾ الانعام: ٩٥. فاللَّه يشق الحبّة اليابسة فتنفلق عن النبات الأخضر، ويشق النواة اليابسة فتنفلق عن الشجرة الكبيرة.

فالقرآن يوجهنا إلى أن نحتمي ونلتجيء بربّ الصبح، أو برب الخلق والوجود كله من هذه الأشياء الآتية: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شرّ ما خلق اللَّه إطلاقاً وإجمالاً، فهذه الآية الموجزة تصور كل الشرور التي يمكن أن تحصل في هذه الحياة. فمخلوقات اللَّه لا تخرج عن كون بعضها نافعاً والبعض الآخر ضاراً، والاستعاذة باللَّه تكون من شرّ مخلوقات اللَّه الضارة.

ومعنى قوله سبحانه ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي من شر الليل إذا أظلم، فالليل له رهبة ورعشة فهو يثير الخوف عند الكثير بما يحمل في طياته من أخطار كالسرقات والاعتداءات، أو الخوف مما يتحرك فيه من حيوانات مؤذية أو حشرات سامة، وبالأخص لمن يسكنون في القرى والأصقاع النائية، فاللَّه سبحانه يأمر المؤمن بعد اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن النفس بأن يُعلّق قلبه باللَّه وذلك بالاحتماء به والالتجاء إليه.

والمراد بقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾ قيل هم السحرة، والسبب فيه أن الساحر كان إذا أخذ في قراءة الرقية لمن يريد إيذاءه أخذ خيطاً ولا يزال يعقد عليه عقدة بعد عقدة وينفث في تلك العقد فيخرج من نفسه الخبيثة ريق ممازج لذلك ليتحقق السحر[١]. وقيل هم

(١) السحر موجود أثبته القرآن وهو من تعليم الشياطين.

النمامون(١).

ثم يختم اللّه السورة بقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فالحسد أن يتمنى الشخص أن يزول عن الآخرين ما هم فيه من نعمة، أما إذا تمنّى مثلها دون تمني زوالها فليس حسداً إنما هو غبطة ومنافسة، وقد تسمى الغبطة حسداً ويكون الحسد على هذا المعنى محموداً في حالتين كما قال رسول اللّه ﷺ: (لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه اللّه مالاً فسلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها) رواه البخاري.

والحسد أول ذنب عصي به اللّه في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس آدم حسداً جعله لا يمتثل لأمر اللّه بالسجود له، فقال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ الإسراء: ٦١ والسجود المقصود هو سجود تكريم لا سجود عبادة، فطرده اللّه من الجنة وكتب عليه اللعنة إلى يوم القيامة. وأما في الأرض فحسد قابيل هابيل حسداً جعله يقتله لأن اللّه تقبّل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه.

هذه السورة ترمي إلى تحرير الإنسان من الخوف، والخوف كما

---

(١) وهذا ما ذهب إليه الإمام الشيخ محمد عبده إذ قال: تستعمل العقدة في كل ما ربط وأُحكم ربطه ولذلك سمى اللّه الارتباط الشرعي بين الزوجين عقدة النكاح، وسمي الإيجاب والقبول في البيع ونحوه عقداً ونسميه عقدة أيضاً... والنفاثات المراد بهم هنا النمامون المقطّعون لروابط الألفة، المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمائهم، وإنما جاءت العبارة كما في الآية لأن جَلّ شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزوجته مثلاً فيما يوهمون به العامة، عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلّوها ليكون ذلك حلاً للعقدة التي بين الزوجين، والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة... عن (تفسير جزء عم).

هو معلوم في علم النفس له آثار مدمرة على النفس والجسد، فإذا استولى الخوف والذعر على الناس ضعفت معنوياتهم، وانهارت ثقتهم بأنفسهم، هذا من ناحية تأثيره على النفس، أما على الجسد فالخوف يزيد من سرعة خفقان القلب، ويسبب اضطرابات عضوية في الجسم تؤثر على عصارة المعدة فتسبب في وجعها، ويحدث رعشة وشعوراً بالضعف.

فالله سبحانه يريد أن ينزع عن الإنسان الخوف من كل الشرور والأوهام وذلك بالالتجاء إليه، ومن يلتجيء إلى الله رب جميع الخلق حماه من كل شر، ونفى عنه الخوف، ورزقه كل طمأنينة وثقة في النفس تعينه على السير بثبات وقوة في مسيرة الحياة.

كما أن هذه السورة توحي بالتصدي للمفسدين النمامين الذين يزرعون الشقاق في المجتمع، وكذلك التصدي للحاسدين الذين يريدون الإضرار بالغير، وعدم إفساح المجال لهم لتنفيذ رغائبهم، فالاستعاذة بالله هي في الوقت نفسه العمل على اتخاذ الوسائل الوقائية لاتقاء شرورهم.

وقد كان النبي كثيراً ما يتلو هذه السورة وغيرها فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل: أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل: أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.



بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس ﴿١﴾ ملك الناس ﴿٢﴾ إله الناس ﴿٣﴾ من شر الوسواس الخناس ﴿٤﴾ الذي يوسوس في صدور الناس ﴿٥﴾ من الجنة والناس ﴿٦﴾

شرح المفردات

أعوذ : ألتجيء واستجير .

رب الناس : مربيهم ومصلح أحوالهم .

ملك الناس : المتصرف بالأمر والنهي فيهم .

إله الناس : معبودهم .

الوسواس : الشيطان ويطلق أيضاً على ما يخطر بالقلب من الشرّ .

الخنّاس : الذي ينقبض ويتنحى ويختفي .

الجِنّة : أي الجن وهم نوع من الخلق سموا بذلك لاختفائهم عن الأبصار فلا يُرون .

سُورَةُ النَّاس

ايضـــاح و دروس

هذه السـورة تصور تنازع الخير والشرّ وترمز إلى بغي الشـر في طبيعة الإنسـان، وهي في الوقت نفسـه إيحاء لتجنب الشر والاستعانـة بالله للتغلب عليه.

تستهل هذه السـورة بالطلب من المؤمن أن يلوذ ويلجأ إلى الله مع ذكر ثلاث صفات له: فهو رب الناس، أي المتعهد لهم بالتربية، وهو ملك الناس أي المسيـطر عليهم والمتصرف بـالأمـر والنهي فيهم، وهـو إلّـه النـاس أي المعبود بحق، فكأن الله يذكرنـا أنه قـوي وعلى كل شيء قـدير فهـو الذي يحمينا من كل شر، وإن قوى الشر هائلة تحتاج في مقابلها هذه الصفـات. فـالمؤمن مطلوب منـه أن يلتجىء إلى الله ﴿قُلْ أَعُـوذُ بِرَبِّ النَّـاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ صفات ثـلاث لله فيها القـوة والمنعة والحفظ يلتجىء إليها المؤمن من عدو خفي يترصده ويزيّن له السـوء في نفسـه.

وفي تكرار كلمة (الناس) وتخصيصها مضافة إلى الله بيـان على علو منزلة الناس وشرفهم وكرامتهم عند الله إذا ساروا على هديه.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ والوسواس هو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس، والوسوسة هي الصوت الخفي وحديث النفس، فالشيطان يجثم على قلب ابن آدم، فـإذا سها وغفـل عن ذِكْرِ الله وسـوس لـلإنسـان بدواعي الشرّ بكلام خفي، أما إذا ذكر الإنسان ربه فإن الشيطان يخنس أي ينقبض ويتنحى عن إفساده وإضلاله.

وإن استعاذتنا بالله سبحانه يجب أن تقترن بترك نوازع الشر والاحتياط

من الوقوع فيها، وإلا فلا معنى للاستعاذة بدون ذلك.

ثم قال سبحانه عن الوسواس إنه يكون من الجن ويكون من الناس:

﴿الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

فوسوسة الناس أخطر وأكثر ضرراً، فربما يأتيك إنسان قد يكون صديقاً أو قريباً أو رفيقاً يأتيك في ثوب ناصح أمين ثم ما يزال يزيّن لك الشر حتى تقع فيه فتكون من الخاسرين النادمين.

والجن طوائف فمنهم الصالحون الذين يعملون الخير، ومنهم الضالون المفسدون كإبليس وذريته وهم الشياطين الذين يدأبون على تقوية دواعي الشر والباطل في النفس الإنسانية وهم المقصودون بالاستعاذة بالله منهم.

ومن الملاحظ أن الله وصف الوسواس بأنه يوسوس في صدور الناس. والعرب تطلق اسم الصدور وتريد بها القلوب التي هي فيها، فالقلب هو المكان الذي تكون فيه الوسوسة، كما أنه ليس المراد منه الصورة المادية وإنما المراد القوى النفسية المستودعة فيه.

من المراجع

تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

التفسير الكبير للفخر الرازي .

تفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العمادي .

تفسير فتح القدير للشوكاني .

تفسير ابن كثير .

روح المعاني للألوسي .

المنتخب في تفسير القرآن ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة .

المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني .

تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي .

صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين مخلوف .

تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده .

تفسير جزء عم لعبد الله الطيب .

في ظلال القرآن لسيد قطب .

تفسير القرآن لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق .

صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني .

المنتخب من تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد متولي الشعراوي .

سورة الرحمن وسور قصار للدكتور شوقي ضيف .

التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتور عائشة عبد الرحمن .

مجلة الأزهر . مجلة لواء الإسلام . مجلة الوعي الإسلامي .

الفهرس

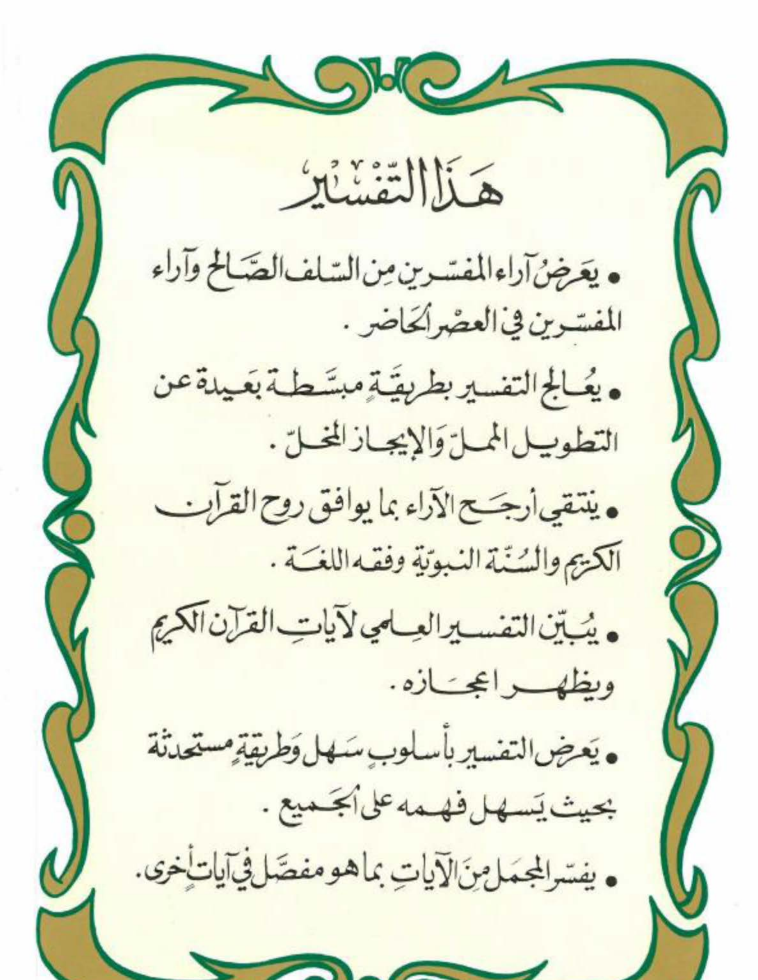
كتب للمؤلف

- روح الدين الإسلامي
- مع الأنبياء في القرآن
- روح الصلاة في الإسلام
- الخطايا في نظر الإسلام
- اليهود في القرآن
- الحكمة النبوية
- تعلم كيف تحج
- روح الدين الإسلامي باللغة الإنكليزية

روح القرآن

صدر منه حتى الآن

- تفسير جزء عمَّ
- تفسير جزء تبارك
- تفسير جزء قد سمع
- تفسير جزء والذاريات
- تفسير جزء الأحقاف
- تفسير جزء الشورى
- تفسير جزء الزمر
- تفسير جزء يٓس
- تفسير جزء الأحزاب
- تفسير جزء العنكبوت
- تفسير جزءي الفرقان والنمل
- تفسير سورة النور
- تفسير جزء الأنبياء
- تفسير سُوَر: الكهف ـ مريم ـ طٰه
- تفسير سُوَر: الحِجْر ـ النحل ـ الإسراء
- تفسير سُوَر: يوسف ـ الرعد ـ إبراهيم



هذا التفسير

- يعرض آراء المفسّرين من السّلف الصّالح وآراء المفسّرين في العصر الحاضر .
- يعالج التفسير بطريقةٍ مبسّطة بعيدة عن التطويل المملّ والإيجاز المخلّ .
- ينتقي أرجح الآراء بما يوافق روح القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وفقه اللغة .
- يُبيّن التفسير العلمي لآياتِ القرآن الكريم ويظهر اعجازه .
- يعرض التفسير بأسلوبٍ سهل وطريقةٍ مستحدثة بحيث يسهل فهمه على الجميع .
- يفسّر المجمل من الآياتِ بما هو مفصّل في آياتٍ أخرى .

الموزعون الوحيدون:
دار العلم للملايين
بيروت - لبنان - ص ب ١٠٨٥